أميرة البطل

ديهوم 2

لغز عمارة زهرة الطيب

رواية

دارك

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

ديهوم (٢)
لغز عمارة زهرة الطيب
رواية..

الكاتبة: أميرة البطل

ربما يحالفك الحظ وتصل للجاني سريعًا، ولكنه ليس اللغز!

ستجد في كل طابق من طوابق عمارة «الشيخة زُهرة» لغزًا، سيأخذك مع أسراره وتفاصيله التي ستتعايش معها وتحاول جاهدًا أن تستجمع شتات عقلك لتربط الخيوط بين ساكنيها وزوارها ومالكها وعائلته؛ كل هذا في كفة، ويقابلها في الكفة الأخرى شبح «الشيخة زُهرة الطيب» وتوالي حوادث الانتحار البشعة، التي لم يُعرف لها سبب منطقي حتى الآن!، هل سينجح فريق البحث الجنائي وعلى رأسهم الضابط (ياسر ديهوم) في حل اللغز، والتوصل إلى الجاني؟ هل سينجح الضُباط الثلاثة في مقاومة ما ستفعله بهم «الشيخة زُهرة»؟

فقط تتبع الأحداث بحِرص..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«الخوف: أرسل لك تحياتي فأنا بدون ضعفك لما كان لي وجود في العالم الكبير».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١)

«حتى وإن أمسكت بيدك كل أسلحة الدمار الشامل لن تستطيع التخلص من الخوف لأنه بداخلك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في يوم الأحد الموافق الحادي عشر من شهر فبراير من العام الحالي، تحديدًا الشقة الرابعة الكائنة بالدور الثاني، عمارة رقم (17) أو كما يطلقون عليها «عمارة الشيخة زُهرة»، تقع في شارع متفرع من مصطفى النحاس بمدينة نصر، يقطن بها (أسعد صالح) رجل أربعيني يعيش بمفرده يجلس على الأريكة واضعًا يديه على أذنيه يبدو أنه يتحاشى سماع أصوات تؤذي سمعه، بالرغم من الهدوء الذي يحيط به، عيناه جاحظتان من شدة الإرهاق والسواد يكسو أسفل عينيه بسبب عجزه عن النوم منذ عدة أيام مضت، فجأة يشعر برجفة تتملك أوصاله ويتلفت حوله بفزع وكأن شيئًا يقترب منه، فيمسك بالوسادة التي يتكئ عليها ويضعها فوق رأسه ويضغط عليها بقوة ويقوم بصراخ مكتوم أسفلها: «ماذا تريدين مني؟ ارحلي بعيدًا فلم أعد أحتمل رؤيتك بعد الآن يا أمي، لقد دفنت جثمانك بيدي منذ عشر سنوات! ارحلي أرجوك». ثم يصمت لدقائق، ويتبدل حاله ليستعيد أنفاسه الهاربة ويعود لجلسته أمام التلفاز ويمسك جهاز التحكم عن بُعد ويضغط على زر التشغيل، ويبدأ بمتابعة أخبار حوادث اليوم بكل تركيز، على الرغم من أن هذا ليس بعادته، وفجأة اعتدل وقام برفع مستوى الصوت لينصت جيدًا حتى أنهت المذيعة تفاصيل حادثة الانتحار ثم أغلقه.

التقط هاتفه بيد مرتعشة وقام بفتح صفحة «الإنترنت»، وكتب في خانة البحث «قُرص الغِلة» فظهرت عدة اختيارات ففتح أحدها ليجد كل المعلومات المتعلقة بالحبة القاتلة، إنها شديدة السمية وسريعة القتل حيث يقوم قرص الغلة بالتفاعل الكيميائي مع الماء في الجسم الذي يسبب تآكلاً مباشرًا للأنسجة ويضعف الإنزيمات الخلوية، فتظهر أعراض التسمم في غضون دقائق، ولا وسيلة للنجاة من هذه الحبة القاتلة، إذ ليس لها أي مضادات.

قام (أسعد) بالبحث عن الأماكن التي يمكن الحصول منها على الحبة القاتلة، وبعد أن أنهى القراءة ارتسمت على وجهه المتعب ابتسامة انتصار وهو يردد «سأتخلص منك اليوم». ثم قام واتجه لغرفته بخطوات هزيلة وجسد خمول وبصعوبة، قام بتبديل ملابسه بأخرى متسخة يبدو عليها أنها لم تُغسَل من شهور مضت ومع ذلك اتجه إلى باب الشقة متجهًا للشارع ولم يعُد إلا بعد مرور أربع ساعات ومعه «قرص الغلة» في علبة أسطوانية الشكل لونها فضي عليها رسم جمجمة الموت وأسفلها عظمتان متقاطعتان وبداخلها أقراص رمادية اللون، صعد الدرج بهرولة ودموعه تنهمر وتعلو معها ضحكة هيستيرية وهو يتمتم «اليوم.. اليوم» وحينما وضع المفتاح في قفل باب الشقة، ظلَّ يحاول فتحه مع رعشة يده التي تعيقه من فتحه؛ فحاول أن يدير المفتاح بصعوبة حتى تمكن من فتحه، وقبل أن يدخل الشقة نشع البول على بنطاله وسقط المفتاح أرضًا وترك الباب مفتوحًا على مصراعيه واتجه مسرعًا إلى أرجاء الشقة وهو ينادي: «أمي»، «أين أنتِ»، وفجأة تسمَّر مكانه واتسع بؤبؤا عينيه وفتح فاه ليسيل منه لعاب غزير لا إراديًا، ثم استدار وركض إلى غرفة نومه المظلمة وجلس أرضًا في أحد أركانها الضيقة بجوار خزانة الملابس، وقام بفتح العلبة الفضية وأخرج حبة وقام ببلعها، وبعد دقائق انسابت العلبة أرضًا من يده وخارت قواه الضئيلة ومعها انقطعت آخر أنفاسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«حينما ينجح الخوف في السيطرة على عقلك يضطرك إلى إطلاق العنان لجانبك المظلم حتى يطغى على كل جميل فيك وتصبح مسخًا».

في يوم الأربعاء الموافق الرابع عشر من شهر فبراير من العام الحالي، تحديدًا الشقة السابعة الكائنة بالدور الرابع بـ «عمارة الشيخة زُهرة»، حيث تقطن (نعمة سعيد) ، فتاة تبلغ الثامنة والعشرين، مطلّقة ومعها طفل رضيع عمره لا يتعدى الأيام بعد، تعيش بمفردها بعد الانفصال في شقة والديها اللذين سجل الطب الشرعي العام الماضي وفاتهما إثر سكتة قلبية بعد قضاء عدة أيام متتالية تحت تأثير هلاوس سمعية وخيالات بصرية لم يشهدها غيرهما من سكان العمارة في ذلك الوقت. أعلنت الآن دقات جرس الساعة عن العاشرة مساءً، انتبهت معها (نعمة) التي مرَّ على جلوسها على أرضية الحمَّام قُرابة الثلاث ساعات، تاركة رضيعها على السرير قد غاص في النوم بعد بكاء مرير استمر طويلًا ولم يجد معه ملبيًا لنشيج صراخه بسبب الجوع والظمأ اللذين يأكلان في جسده الصغير، وفجأة قامت (نعمة) من جلستها مهرولة للخارج وهي تتلفت حولها بعينيها الحمراوين من عدم النوم ثم اتجهت إلى المطبخ، وقامت بفتح أحد أدراجه، وظلت تختار من بين السكاكين حتى استقرت على إحداهن وذهبت بها إلى الحجرة التي بها الرضيع واقتربت منه ووضعت السكين التي تهتز في يدها المرتعشة عند رقبته فشعر بها الطفل واستيقظ ونظر إليها ببراءة وعينين دامعتين إثر بكاء قبل النوم وحينما شعر ببرودة طرف السكين دغدغته فأطلق صرخةً ضاحكةً جعلت السكين تسقط من أمه التي وضعت يديها على رأسها وتحاول أن تحجب الهمهمات عن مسمعها وهي تردد: «كفى..كفى...» ثم نظرت خلفها وكأنها رأت أحدًا فسارت ناحيته وخرجت من الغرفة متجهة مرة أخرى إلى الحمَّام، وحينما دخلت نظرت إلى المرآة وهي تضحك تومئ برأسها كأنها تجيب بالموافقة على أحدٍ، وقامت بفتح خزانة صغيرة بجوارها وأخرجت المقص وقامت بالتقاط مجموعة خصلات من شعرها واحدة تلو الأخرى وقصتهم حتى فروة رأسها، وحينما انتهت قامت بفتح صنبور الماء في حوض الاستحمام ووضعت السدادة حتى يمتلئ ولا تتسرب المياه، وذهبت للرضيع الذي بدأ في البكاء والنشيج مرة أخرى وحملته، وحينما شعر بدفء حضنها تقطع البكاء حتى هدأت روحه قليلًا واطمأن بأنفاسها، وحينما وصلت به الحمَّام، قامت بتقبيل الرضيع على جبينه وابتسمت له، ثم وضعته في الماء الذي ملأ حوض الاستحمام، ظلَّ يحرك يديه وقدميه ويصرخ مفزوعًا وينتفض من برودة المياه حتى غمرته كليًا وظلَّ يهبط وتصعد فقاعات الماء على السطح حتى قلَّت مع أنفاسه وحركة جسده واستسلم مع آخر نفس، بينما تقف (نعمة) تشاهده وهي تنزع ملابسها كاملة حليقة الرأس متسخة الجسد ثم أشاحت بنظرها وكأن أحدًا نادى عليها ومشيت في خطوات بطيئة، وبدأت الدماء تتساقط إثر مكان عملية الولادة التي لم تتخطَّ الشفاء من آثارها بعد، إلى أن وصلت للشرفة وصعدت فوق كرسي ومنه إلى السور وقامت بإلقاء نفسها دون تردُّد وعلت ضحكتها في الأرجاء حتى عم الصمت مع آخر أنفاسها وجسدها عارٍ ملقى في وسط الطريق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«الخوف بداخله ضغينة عظيمة لك، لأنك حر وهو مقيد، استعد سيفعل بك ما لا تتوقع حدوثه حتى في خيالك»

في يوم الخميس الموافق الثاني والعشرين من شهر فبراير من العام الحالي، تحديدًا الشقة الأولى الكائنة بالدور الأول الأرضي بـ «عمارة الشيخة زُهرة»، يسكن بها (محمد الحسيني) شاب ثلاثيني ومعه زوجته ولديه ابنتان تتراوح أعمارهما بين الخمس والسبع سنوات، تم فصله اليوم من عمله بسبب الخسائر المالية التي تسبَّب فيها بعدم تركيزه وتدهور حالته بصورة عامة جسديًّا ونفسيًّا، وكثرت الأقاويل عليه بين زملائه بأنه يتحدث مع أشخاص وهميين ودائمًا يحاول التخلص من أصوات تتردد في أذنيه، لدرجة أنه ذات مرة حاول أن يدخل شيء حاد في إحداهما، ظنًّا منه أنه بذلك سيقضي على هذه الأصوات، عاد ذلك اليوم وهو يجرجر خطاه بخيبة أمل ويأس يصل لعنان السماء وحينما دخل الشقة كانت زوجته تستلقي على الأريكة بعد أن قامت بتعصيب رأسها محاولة تفادي ألم الصداع القاتل، وطفلتاه تجلسان أرضًا تنظران للتلفاز في ثبات غير طبيعي وعلى الرغم من وصول والدهما ورؤيتهما له قابلتاه بصمت رهيب ولم تحركا ساكنًا وعادا بنظرهما إلى التلفاز، وبعد أن دخل وأغلق الباب خلفه اتجه إلى غرفة النوم ليبدل ملابسه، ولكنه سرعان ما خرج منها مهرولًا يتلفت حوله يهرب من شيء رآه بالحجرة، وهنا تحركت الطفلتان زاحفتين تجزان على أسنانهما مع رجفة تملكت أجسادهما وجلستا بجوار والدتهما التي اعتدلت وأزاحت عصبة رأسها واحتضنت الطفلتين وهي تبكي في صمت وتنظر معهما في نفس الاتجاه وكأنها تنتظر ظهور شيء ما، وإذا بها تطلق الصرخات عاليًا وتردِّد دون توقف: «كفى.. كفى..»، بينما جلس (محمد) وضع القرفصاء في أحد الأركان واضعًا يديه حول رأسه وظلَّ ينتحب، فأمسكت الزوجة علبة دواء المنوم التي تساعدها بصعوبة على النوم لمدة قصيرة ارتضت بها بدلًا من العدم وقامت بإعطاء الطفلتين كلا منهما واحدة، ثم اتجهت لزوجها وناولته خمسة أقراص مثلما ابتلعت هي أيضًا ثم اتجهت إلى المطبخ وقامت بفتح أنبوب الغاز على آخره حتى يتسرب للهواء الخارجي ويختلط معه، وأغلقت كل منافذ الشقة بإحكام وعادت إلى الفتيات وقامت بشدّ ذراعيهما لتقربهما لها، فجلسوا أرضًا بجوار الأب متقاربين أربعتهم يضع كلٌّ منهم يده على كتف الآخر وينظرون بتربص إلى نفس الاتجاه وكأنهم منتظرون شيئًا ما للظهور، ومعها بدأت القوى تخور والرؤوس تتساقط واحدة تلو الأخرى إثر الحبوب المنومة ومعها انقطعت الأنفاس نهائيًّا بالاختناق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

«يومًا ما سوف يتحول الخوف الكامن بداخلك إلى مسخ يطاردك أينما ذهبت»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مبنى المباحث بمدينة نصر

يجلس المقدم (مصطفى) رئيس المباحث ولم يطرأ عليه أيُّ تغيير سوى أن ملامحه ازدادت صرامة عما كانت عليه، وأمامه يجلس الضابط (سامر) زاد وزنه قليلًا بينما نظرته السطحية ما زالت كما هي، انضم إلى فريق التحقيقات فردٌ جديدٌ نشط وهو الضابط (وليد هاشم) ، الذي يجلس ثالثهم الآن، نحيف وطويل، عيناه دائمًا لامعتان من شدة التركيز في كل ما حوله، شفتاه لونهما داكن قليلًا من كثرة التدخين، ملابسه دائمًا منمقة تتناثر عليها شعر الكلاب التي يربيها، أسلوبه متعجرف إلى حدٍّ ما، وذلك بسبب الثقة الكبيرة التي اكتسبها من نجاحه في العديد من التحقيقات، بالإضافة إلى أنه أثبت جدارته في وقت قياسي خاصة في التحقيقات الجنائية، مما دعا المقدم (مصطفى) إلى الاستعانة به في فريقه ليكون بجوار حُصانه الرابح في حلِّ القضايا؛ الضابط (ياسر ديهوم) ، ولكنه الآن في إجازة طويلة لم يعد منها بعد لساحة العمل.

- لم يعد الأمر مريحًا في هذه العمارة.

قالها المقدم (مصطفى) مع تعابير وجه قاتمة فأجابه الضابط (سامر) بتلقائية:

- كلها حوادث انتحار لا غبار عليها فما داعي القلق؟

- يبدو الآن أن هذه الحقيقة أصبحت مشكوك بأمرها.

قالها الضابط (وليد) وهو يتأمل ملامح السيد (مصطفى) وهو يقرأ آخر المستجدات عن «عمارة الشيخة زُهرة» ثم أكمل سائلًا:

- حتى الآن لم أعرف ما هي حكاية هذه العمارة؟ وما سبب تسميتها بـ «عمارة الشيخة زُهرة»؟ كلما سألت أحدهم يروي لي قصة غير الأخرى.

تنحنح السيد (مصطفى) وهو يخطو ليغادر الغرفة:

- سأترككما تتبادلان المعلومات عن حكاية العمارة حتى أجري بعض المكالمات الهاتفية وأعود لنستكمل النقاش.

وهنا بدا على وجه (سامر) عدم الارتياح فسأله الضابط (وليد) ساخرًا:

- ما بك؟ هل «الشيخة زُهرة» مخيفة لهذه الدرجة؟

- هل تعلم مَن مالك هذه العمارة؟

قالها (سامر) بسرعة دون أي محاولة لإخفاء توتره فأجابه زميله بتلقائية:

- لا، هذه الحوادث برمتها جديدة على سمعي، ولكن ما علاقة ذلك بما نحن بصدده؟

- المالك هو رجل أعمال ذو صيت عالٍ في البلد، هذا غير أنه يتمتع بجنسية بريطانية مع جنسيتة المصرية وأنت تعرف جيدًا، بسبب ذلك لا نستطيع التعامل معه كشخص عادي.

فرفع حاجبيه في صمتٍ وأكمل (سامر) :

- وقد ورث هذه العمارة عن جده.

- أتعني بأن ما يحدث له علاقة برجل الأعمال؟

- لا على الإطلاق كل ما يحدث حالات انتحار لا شائبة بها لتصبح محل شك أو بفعل فاعل.

- ولكن تعبيرات السيد (مصطفى) تقول غير ذلك.

قالها (وليد) وهو ينتقي سيجارة من علبته بينما أكمل الآخر:

- لا أعلم، ولكن ما أنا متأكد منه بأن نذر «الشيخة زُهرة» له علاقة بما يحدث وسوف يحدث.

- نذر! أي نذر؟

فحكى له (سامر) ما يتداوله الجميع حول هذه العمارة بأن كانت إحدى سكانها قديمًا سيدة خمسينية تدعى زُهرة، أطلقوا عليها فيما بعد «الشيخة زُهرة» لأنها كانت تداوم على حضور الصلاة في أوقاتها بالمسجد ودائمًا تحث الجميع على فعل الخير، وذات يوم استيقظت وجدتُ ابنها الوحيد مقتولًا بمدخل العمارة بطريقة بشعة، جثته مشوهة بالكاد تعرفت عليها، وحينما تجمع السكان وأخبروها أنهم سمعوا أصوات استغاثة وصراخ ولكن خشي الجميع من الخروج من منازلهم، لأن الصوت كان مخيفًا للغاية، فغضبت وثارت عليهم لأن لم يقم أحدٌ منهم بمساعدته وخاصة أن هذه الأصوات التي ذكروها لم تسمعها هي، فقامت بإخفاء جثته، ولم يعرف أحد مكانها بعد ذلك، ومن بعد الحادث تحولت السيدة من فعل الخير إلى الإساءة لكل جيرانها ظنًا منها بأنهم السبب فيما حدث لابنها. وفي إحدى الليالي ظلت تصرخ بشدة وتتوعد للجميع أنها نذرت بالانتقام منهم، ومن أبنائهم، ومن كل شخص يقترب من العمارة، وستأخذ أرواحهم واحدًا تلو الآخر ولن يهنأوا يومًا حتى تعرف مَن الذي فعل ذلك بابنها، وإن لم يكن الفاعل منهم أيضًا لن تغفر لهم تقاعسهم عن مد يد المساعدة له لربما كان نجا.

وفي صباح أحد الأيام وجدوها في نفس المكان الذي قُتلَ فيه ابنها، ولكن كانت جثتها أكثر بشاعة، فمها مفتوح على مصراعيه، حينما تراه تشعر بأن كائن مفترس قام بفتحه على آخره حتى انكسرت عظام الفك وقام بقضم اللسان ونهش باقي جسدها حتى مزقه، ولم يدع منه جزءًا سليمًا. ومن بعدها تقريبًا كل عام يصاب السكان بالهلع والذعر وهم يرددون جميعًا بأنهم يسمعون أصواتًا ويرون أشباحًا لأقاربهم الموتى وهم يطاردونهم في كل الأماكن، منهم من يصمد ومنهم من تسوء حالته ولم يستطع التحمل وينتهي به الحال بالانتحار.

- ماذا قال تقرير الطب الشرعي بعد تشريح الجثث؟

قالها الضابط (وليد) وهو يشعل سيجارة أخرى وتجعدت شفتاه النحيلتان حولها، فأجابه (سامر) بإيماءة رفض قائلًا:

- لا شيء غير أن تعرضهم للخوف الشديد قادهم لاضطراب شبيه بالجنون، وكلٌّ منهم وجد طريقًا مختلفًا للتخلص من معاناته.

- ما هو اسم رجل الأعمال مالك العقار؟

- السيد (علي الطويل) .

- «إنه أنظف من الصيني قبل غسله».

قالها (وليد) متعجبًا لنزاهة هذا الرجل وسيرته الطيبة ومشاريع الخير التي يقوم بها في البلد، هذا غير شركاته العقارية التي أسستها عائلته من سنوات عديدة، فأجابه (سامر) :

- بالضبط.. لدرجة أنه من فترة بعيدة وسط ذروة الأحداث عرض أن يهب العقار للدولة خشيةً أن يمس سمعته سوء، بالرغم من أن الحوادث ليست لها علاقة به ولا من قريب ولا بعيد، ولكن حينها وفقًا لما أتذكَّر؛ أجابه أحد المسؤولين بأنه ليس بحاجة لذلك، وخاصة أن العقار مشهور بين الناس باسم «عمارة الشيخة زُهرة» وليس...

وهنا دخل المقدم (مصطفى) بتعابير وجه أكثر قتامة من التي رحل بها ثم جلس على كرسيه وقال بتحفز:

- لقد طرأ أمرٌ جديد وغاية في الأهمية بخصوص «عمارة الشيخة زُهرة».

وهنا نظر (وليد) لزميله وهو يعقد حاجبيه في خبث وكأنه يقول له «ألم أقل لك أيها الغبي»، ومع ذلك لم يبدُ (سامر) أي ضيق وكأنه تعود على أن الجميع يسبقه باستنتاج الأحداث، الآن (وليد) ومن قبله (ياسرديهوم) ، ثم سأله (وليد) متلهفًا:

- ماذا هناك؟!

- دعنا ننتظر حتى يأتي الضابط (ياسر ديهوم) ونعقد اجتماعًا نطرح فيه كل ما لدينا.

وهنا شرع الضابط (وليد) في عقد حاجبيه اعتراضًا على ما قيل ولكنه لم يجرؤ بفعلها أمام رئيسه، اكتفى بالسؤال:

- ولماذا ننتظره، هو في إجازة ولن تنتهي قريبًا؟

- أعلم... لذلك أرسلت له حتى يعود على الفور للأهمية.

- كنت أقترح أن نبدأ التحقيق ثم...

قاطعه السيد (مصطفى) :

- ما جدَّ على الأحداث ليس بهين، ولن يقبل أي خطأ لذلك أنا بحاجة لثلاثتكم.

- ولكننا...

قاطعه رئيسه مرة أخرى وهو يقول بحدة:

- الخبر سيتسرب للإعلام عاجلًا أم آجلًا، وحينما يحدث ذلك سيتحول الأمر لرأي عام وبلبلة نحن في غنى عنها، وسنحاول جاهدين أن نؤخر حدوث ذلك قدر المستطاع.

وهنا سأل (سامر) بتلقائية:

- هل تقصد بذلك أن السيد (علي الطويل) له دخل بما يحدث؟

- لا ليس هو.

قالها السيد (مصطفى) وهو يجز على أسنانه ثم رن هاتفه فتلقى المكالمة وبعد الانتهاء منها صمت قليلًا وقال:

- أحد سكان «عمارة الشيخة زُهرة» قام توًّا بالانتحار في الشارع أمام العمارة، وشاهده الكثير من المارة وقاموا بتصويره بهواتفهم المحمولة وهو يقوم بحزّ رقبته بسكينٍ حادٍّ ولم يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منه للمساعدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح دافئ، صوت صراخ أطفال يتقافزون على رمال الشاطئ، العديد من السياح الأجانب يستلقون تحت أشعة الشمس، يخرج (ياسرد يهوم) من البحر ومعه رجل سبعيني تعرَّف عليه منذ قليل وهو يسبح، واستلقيا على الرمال وأخذا يتبادلان الأحاديث، وبينما يحكي له ديهوم عن عدة الكيلوجرامات التي فقدها بعد معاناة من تقليل كمية الطعام التي يتناولها، وخاصة الإفطار الذي يلتهمه يوميًّا من عربة الفول التي توجد بجوار العمل، وهنا سأل العجوز عن طبيعة وظيفته وقبل أن يجيبه لمح بجواره على الرمل ظِلين توقفا عن الحركة فقال أحدهما بنبرة جادة سائلاً:

- الضابط (ياسر ديهوم) ؟

- ماذا هناك؟

- المقدم (مصطفى) يريدك للأهمية القصوى الآن.

- الآن؟!

- حاولنا الاتصال بك، ولكن الهاتف مغلق طوال الوقت، وتم التواصل مع إدارة الفندق ولكن أخبرونا أنك طلبت منهم عدم إزعاجك لأي سبب كان!

- هذا أمرٌ من المقدم (مصطفى) شخصيًا؟

- يقول أن نخبرك، أن ما يحدث شديد الأهمية.

- إذًا فعليكم الانتظار.

ثم قام وسارا هو والعجوز واتجها إلى المطعم، وتناول الطعام ثم اتجه إلى غرفته بالفندق واستحم وحزم حقيبته وعاد معهما من حيث أتيا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ثلاث ساعات انقضوا في الطريق إلى أن وصل الضابط (ياسر ديهوم) إلى مبنى المباحث وحينما دخل مكتب المقدم (مصطفى) وجد معه (سامر) والمستجد الضابط (وليد هاشم) ، فدخل وألقى التحية وعيناه على رئيسه محاولًا معرفة ما مدى السوء الذي هُم بصدده، غير مبالٍ لـ (وليد) عن قصد، ويعتبر هذا اللقاء الأول الذي يجمعهما في مكان واحد، وكلٌ منهما يعرف الثاني جيدًا سمعًا فقط، وجمعتهما مناسبات في أماكن عامة لا أكثر، فاعتبر الضابط ذلك أنه تجاهُل وسوء معاملة مقصودة من (ديهوم) الذي نطق قائلًا بضيقِ صبرٍ:

- كنت أتمنى أن أستمتع هذه المرة بإجازة كاملة!

- نحن ملك لخدمة الوطن يا ياسر ليس بيدي ما يحدث.

- ولكني أخبرت سيادتك في الفترة الأخيرة أني أريد إنهاء الخدمة، لم يعد لدي ما أقدمه لنفسي حتى يُطلب مني مساعدة غيري.

صمت الرئيس قليلًا ثم قال:

- عقار رجل الأعمال (علي الطويل).

وهنا لمعت عينا الضابط (ديهوم) وهو يقول:

- «عمارة الشيخة زُهرة»؟!

- نعم هي! لقد عادت إلى طاولتك على طبق من فضة.

- ولكني أريدها على طبق من ذهب.

- لا تتسرع يا (ديهوم) هو مجرد خيط، وإن لم نجد له تابع سنقطعه ونقوم بدفنه في أقرب حفرة، وكأننا لم نرَ شيئًا.

تدخل هنا (وليد) حانقًا وهو ينظر إلى (ديهوم) :

- مهلًا! ألا يجب نتكلم بوضوح أكثر لنتشارك الحديث؟

ثم نظر إلى المقدم (مصطفى) وأكمل بتسرع وضيق صدر:

- بعد إذن سيادتك أريد أن أعرف من البداية هل حضوري هنا له داعٍ أم (ديهوم) مركز الكل شيء؟

قطع الضابط (وليد) لحظة فرح (ديهوم) بالخبر الذي تلقاه من رئيسه، وشعر من طريقته أنه بدأ العراك مبكرًا فقال بصرامة:

- اسمي الضابط (ياسر ديهوم) لا أحب البساطة في التعامل بيننا، حتى أسمح أنا بذلك.

تدخّل المقدِّم (مصطفى) سريعًا:

- كفاكما، كلُّ ما في الأمر يا وليد أن (ياسر) كلما وقعت حادثة انتحار في العمارة يطلب مني أن يذهب إلى مسرح الحادث وإحالة الموضوع للتحقيق.

فضحك (وليد) ساخرًا:

- كل هذا بسبب حالات انتحار! فماذا كان سيطلب إذا وقعت جريمة قتل متعمدة؟

- تكرارها بدون سبب مفهوم، هو ما كان يقلقه.

وهنا تدخل (سامر) للمرة الأولى بعد صمت طويل:

- ولكن المقدم (مصطفى) عارَضَ ذلك منعًا لحدوث لغط حول رجل الأعمال، وعدم توافر أي أدلة مادية تدعو لذلك.

وقف الضابط (وليد) مكملًا بطريقة ساخرة:

- وهنا تدخل الضابط العظيم ليثبت أن الغدر يأتي من مكمن الأمان.

وقف (ديهوم) هو الآخر محاولًا استعادة رباطة جأشه قدر المستطاع قائلًا:

- لا أجد سبب لانفعالك الشديد ومع ذلك، هل تخلو حياة رجال الأعمال أصحاب الملايين من الفضائح، فقد شهدنا الكثير والكثير يشيدون الشركات النظيفة في الواجهة، ومن خلف الستار يباشرون القذارة من تجارة الكيف وتجارة فتيات الليل والليالي الحمراء والأدوية المغشوشة وألبان الأطفال وغيرها...

- وما نحن أمامه سنطلق عليه «تجارة حوادث الانتحار»!

خبط المقدم (مصطفى) على مكتبه بقوة ووقف هو الآخر قائلًا بحزم:

- لا أحد منكم يذكر اسم رجل الأعمال إلا إذا كان معه دليل.

- الضابط (ياسر) هو من يفعل.

- لم يحدث ذلك، هو يشيد بسمعة ونزاهة (علي الطويل) ويفصل جيدًا بين شخصه وبين العقار الذي يملكه، وطلب منَّا أن نساعده ليتخلص منه ويهبه للدولة، ولكننا لم نحبذ الفكرة وهو يرفض أن يقوم ببيعه لمالك آخر لأنه يعود لجدوده.

قالها (سامر) توضيحًا لما يجهله (وليد) ، محاولًا تهدئة الموقف الذي فسَّره الجميع، إنه «غيرة في العمل» لضابط في مكان جديد ويريد أن يثبت أنه الأكفأ، طلب السيد (مصطفى) منهم الهدوء ثم جلس الجميع وبدأ (ديهوم) بسؤاله:

- ما الجديد؟

فأخبرهم المقدم (مصطفى) آخر المستجدات، بأنه حينما كان الفريق هناك إثر الإبلاغ عن رائحة غاز تنتشر بالعقار وتبيَّن أنها حالة انتحار جديدة، وبعد الانتهاء من مسح شامل لمسرح الحادث ولم يتبين لهم شيء جديد، ظهرت في مدخل العمارة فتاة عشرينية من أحد السكان، وظلت تصرخ وهي تشير للأعلى وتقول بأن هناك من يتابعها وأخذت تبكي حتى توقف رجال الشرطة، واقترب منها أحدهم ليفهم عما تتكلم فأخبرته بأن هناك رجلين ملثمين رأتهما كانا ينزلان السلم في صمت بينما كانت تنظر من عدسة الباب الزجاجية قبل أن تخرج لإلقاء القمامة، فقامت بمهاتفة الحارس ليأتي على الفور، وبينما هو في طريقه كانت هي ما زالت عند الباب تنظر من خلفه فوجدتهما يصعدان مرة أخرى، ولكنها خشيت أن تفتح الباب، وحينما سمعت خطوات الحارس تقترب منها قامت بالخروج، ولكنهم كانوا قد تخطوا طابقها وكان ظلهم لا زال يتحرك على السلالم حتى اختفى تمامًا.

بعدها سأل الضابط الحارس عن مدى صحة ما قالته فأخبره أن ما قالته صحيحٌ، ولكنه لم يرَ أحدًا بعينه فقام الفريق بمسح كل شبر في مدخل العمارة، بناءً على كلام الفتاة وهنا كانت المفاجأة؛ لقد عثروا على «كاميرا» بأبعاد حديثة جدًّا مخبأة خلف المصباح الكهربائي المعلَّق بالسقف.

وهنا قاطعه (وليد) :

- ربما يكون رجل الأعمال أو أحدًا من السكان محاولًا معرفة وكشف حقيقة ما يحدث.

ردَّ (ديهوم) بسرعة:

- بالفعل هذا ما دار بعقلي.

ثم نظر الاثنان لبعضهما ثم للسيد (مصطفى) الذي قال:

- هذا ما سنكتشفه حينما نسأل السيد (علي الطويل) بعد عودته للبلد غدًا.

فسأله ديهوم:

- وماذا عن الرجلين؟ ربما قالت الفتاة تخيلات في عقلها مثل باقي السكان، جميعهم يتفوهون بكلام غير منطقي مثل شبح «الشيخة زُهرة» الذي يلاحقهم ويريد التخلص منهم.

- لا أثر لهما، أما الفتاة فهي بالفعل كانت تتردد على عيادة أمراض نفسية، ولكنها لا تعاني من مرض محدد، مجرد أعراض اكتئاب وإرهاق مثلما قال الطبيب المعالج لها حينما سألناه.

وهنا رنَّ هاتفه فأمسك به وأجاب وبدا على ملامحه التوتر وهذا ليس من شيمه إطلاقًا، وحينما أنهى المكالمة قال:

- حدثت حالة من الهياج لبعض السكان المتبقين بالعمارة بدأوا بالصراخ وهم يردِّدون «إنها غاضبة وتريد أن يرحل الغرباء عن العمارة».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٣)

«أبهر الجميع بأدائك فوق المنصة، ولا تخبرهم أبدًا أسرار الكواليس»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(علي الطويل) أربعيني، والده (عادل الطويل) كان من كبار رجال الأعمال الأكثر تأثيرًا في مجال العقارات من عدة سنوات مضت، توفي وترك لابنه الوحيد (علي) شركات عقارية ومباني كثيرة باسمه دون أخواته البنات، وهن يعشن الآن في لندن مع والدتهن ومعهن أيضًا زوجته وأولاده، يسافر لرؤيتهم دائمًا كلما أتيحت له الفرصة والوقت، لديه اهتمام كبير بالأعمال الخيرية، يهتم بفتح المكتبات وإيواء وتعليم أولاد الشوارع، له باع مؤثر وكبير في الحركة الثقافية في البلد، سمعته جيدة لا شائبة عليها غير قليل من الصِدامات التي حدثت وما زالت تحدث حينما ينعته أحدهم بأنه ليس إلا «ابن الناس الأغنياء» وأن كل ما يفعله ما هو إلا تكملة لمسيرة أبيه، ولكن هذا عكس ما يؤكده كلُ مَن عمل معه أو المقربون له بأنه عكس والده تمامًا الذي كان يهتم بنجاحاته ومكاسبه هو فقط، وكل ما فعله يخدم مصالحه المادية الشخصية فقط، إنما (علي) يقوم بخدمة الصغير قبل الكبير دون مقابل.

من أحد العقارات التي ورثها كانت «عمارة الشيخة زُهرة» أو كما وصفها سكان العقارات المجاورة عقار «الشيخة المبروكة»، التي تحولت روحها إلى سفاحة انتقام، العقار في الأصل يعود إلى جِده، لذلك وبالرغم من الأحداث المريبة التي تقع به لم يقدم على بيعه، وحينما فاض به الحال عرضَ على المسؤولين أن يقوم بمنحها للدولة كوقف عقاري ولكن لم يكتمل الأمر حتى الآن.

ظلت حالات الانتحار على وتيرة واحدة بين فترة وأخرى بعيدة، يسقط أحد السكان منتحرًا، وفي الآونة الأخيرة حدثت حالة من الهياج معها توالت حالات الانتحار فجأة في نفس الوقت، ومن بين خمسة طوابق التي تتكون منهم العمارة، ويقع في كل طابق أربع شقق كانوا معمَّرين بالسكان، تبقى في العمارة بأكملها أربعة شقق لم يزُرها الانتحار بعد، ولكنها لا تخلو من سكان يعيشون أيام مريرة مليئة بالهلاوس وعدم الاتزان، أول شقة كان يسكنها رجل تخطى الستين من عمره مات منتحرًا من عدة أشهر وترك زوجته (سلمى) فتاة عشرينية من أصل طيب، ارتضت بهذه الزيجة لضيق حال أسرتها، تركها وهي حبلى في شهورها الأولى، وبعد أن وضعت المولود أخذته منها عائلتها ورفضوا أن يتركوه معها خوفًا عليه، وأقترحوا أن تذهب للعيش معهم حتى تربي طفلها ولكنها رفضت وظلت بالشقة بمفردها، تسوء حالتها يوم بعد يوم تزداد معها نوبات خوف وبكاء وأحيانًا سماع أصوات تتردد حولها تدعوها للتخلص من حياتها المأساويةويوحون لها بأفكار للانتحار، ويلازمها زوجها المتوفي طوال اليوم وتأتي «الشيخة زُهرة» من حين لآخر، هذا ما قالته للطبيب النفسي الذي قامت بزيارته في إحدى المرات، وقام بتشخيص حالتها بأنها اكتئاب مزمن وحذرها بأن لا تعود للشقة والعيش بمفردها وكتب لها أدوية الاكتئاب، وبالفعل داومت عليها عدة أيام وكانت حالتها بدأت في التوازن بنسبة بسيطة، وبالرغم من تحسنها فهي لم تستمر على الأدوية، ولم تعاود زيارة الطبيب مرة أخرى.

الشقة الثانية تسكنها السيدة (نادية) ، أرملة خمسينية تشبه ممثلات هوليود في السبعينيات؛ لأناقتها واهتمامها بجمالها وزينة الوجه المبالغ فيها إلى حدٍّ ما ولون شعرها الذي تكسوه صبغة الأحمر القاني، لديها ابن وحيد يعمل بالخارج يأتي لها على فتراتٍ متباعدة، ولكنه يُحدّثها يوميًا على الهاتف للاطمئنان على صحتها وتجيبه كعادتها أنها «بأفضل حال»، وهذا بالفعل حالها فهي لم تعانِ مثل الجميع لا أصوات ولا رؤى غير مفهومة، هذا غير أنها تعتبر شخصية مشهورة لديها حسابات على كل مواقع التواصل الاجتماعي يتابعها الآلاف ولديها حدس عالٍ وتحليل دقيق وممتاز للشخصيات والمواقف، ذاع صيتها بقراءة أوراق التاروت والتنبؤ بالمستقبل وعالمة في عِلم الأبراج الفلكية وقراءة الفنجان، تأتي لها الخادمة يومًا واحدًا بالأسبوع، ومثلها فتاة تعمل في صالون تجميل تهتم بها ولا تستقبل ضيوفًا غيرهما إلا في أضيق الحدود، أما إن كان لأحد متابعيها طلب مثل قراءة شخصية له من كروت التاروت أو الفنجان فهو يحصل عليه عن طريق «الإنترنت»، تفتح «الكاميرا» بينهما وتقوم بذلك أمامه ويقوم بتحويل المال لها عن طريق شركة الاتصالات التابعة لها، تقريبًا لا تغادر المنزل إلا فقط أثناء زيارة الأطباء الشهرية، الجانب الروحاني يأخذ مساحةً كبيرةً من كلامها ودائمًا تفسر ما يحدث بأن هناك روحًا معذبة وتحتاج بأن يرشدها أحدهم لطريق الصواب ولهذا تفعل ذلك بهم.

الشقة الثالثة يسكن بها (سعيد) ؛ رجل أربعيني، توفيت زوجته بعد معاناة شديدة من أصوات ورؤى بطلتها «الشيخة زُهرة»، كانت تستيقظ ليلًا وتصرخ وتستنجد بالجيران بأن يبعدوها عنها ويجعلوها ترحل ومن معها، حتى تخلصت هي منهم بالانتحار وظلَّ (سعيد) بمفرده من يومها لا يعرف أي معنى أو وجود للسعادة غير في اسمه الذي لا يناديه به أحدٌ غير حارس العقار، فهو يعيش بين أربعة جدران لا يخرج منهم هو الآخر مثله كمثل السيدة (نادية) و(سلمى) ، ولكن لديه اهتماماته الخاصة بالنباتات عنده شغف كبير بزراعتها ورعايتها وتأخذ كل وقته، وأصبح لا يتعامل مع العالم الخارجي إلا في أضيق الحدود، لا يعرف وجهه طريقة الابتسام ودائمًا يصرخ بالوجوه بأن «الشيخة زُهرة» لن تهدأ إلا بعد أن تنتقم وتتخلص من الجميع.

الشقة الرابعة والأخيرة، يسكنها (علاء) وزوجته (رانيا) ، ولديه فتاتان واحدة بالمرحلة الثانوية تدعى (ميار) ، والأخرى بالجامعة وتدعى (ميادة) ، قديمًا كان الجميع يصف (علاء) بحُسن معاملته وبشاشة وجهه، في بداية زواجه كان يعيش مع والديه وبعد وفاتهما لم يستطع ترك الشقة لأنه كلما عرضها للبيع لا يجد مشتريًا؛ فسمعة البيت المريبة تسبقه، ولا يوجد لديه القدرة المالية على شراء أو استئجار آخر واكتفى بالعيش فيه ما دام لم ينَله هو أسرته أذى، وكلَّما سألهم أحدٌ خارج العمارة عن «الشيخة زُهرة» والأصوات التي يتحدث عنها الجميع، يجيبون بأنهم إلى الآن لم يروا ولم يسمعوا شيئًا مريبًا، ويكفي الخوف الذي يسيطر عليهم من ظهور مجهول ينتظرهم مثل الآخرين فهذا كفيل ليفقدهم طعم أي ملذة في الحياة أهمها النوم، هم تقريبًا الآن لا يغمض لهم جفن وأصبح حاله هو وبناته وزوجته في أسوأ حال.

وآخر من له صلة بالعمارة هو (عمار) حارس العقار المجاور للعمارة المشؤومة مثلما ينعتها دومًا، وهو المسؤول عن نظافتها وخدمة وتلبية احتياجات سكانها، وفي النهاية يعود للعيش مع أسرته بالغرفة السفلى بالعمارة المجاورة، وحاله مثل (علاء) وعائلته لم يرَ ولم يسمع ما يتحدث عنه البقية

وكان دائمًا يؤمن بقصص الأرواح التي تعود بعد موت صاحبها، لأنه تربى عليهم في القرية التي نشأ بها ولم يستغرب عدم رؤيته لشيء مثلها، مثل القصص التي يتداولها أهله بأن هذه الأرواح تأتي لأشخاص معينة تكون لها حاجة لديهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٤)

«لن تصل للإجابة الشافية ما دمت تردِّد السؤال الخطأ»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهى النقاش الحاد بين المقدم (مصطفى) والثلاثة ضباط بأنهم يتوجهون إلى العمارة للتحدث مع السكان والتحقق إذا كان هناك شيء غير طبيعي بخلاف ما يتعلق «بالشيخة زُهرة» وأشباحها، وبالفعل في صباح اليوم التالي تم التحرك والتقوا أسفل العمارة وصعدوا لأول شقة ما زال بها سكان أحياء، وكانت للفتاة (سلمى) التي قالت إنها رأت رجلين ملثمين، وبالرغم من وجودها بالداخل وسماعها أصواتهم وصوت الجرس ولكنها لم تفتح الباب لهم وبقيت في كرسيها منكمشة ولم تحرِّك ساكنًا تنظر في الفراغ ويرتجف جسدها، وفجأة تبدَّل حالها وهي تردد مؤكدة بأن زوجها هو من أتى بالرجلين بل وكان معهما ينتظرها بالخارج ليقضي عليها ويأخذها معه، لذلك ظلت بالداخل، ثم بدأت النحيب وهي تشير على الحائط بأن زوجها المتوفي عاد ومعه الملثمون ويريد أن يقتلها، فحاولوا تهدئتها قدر المستطاع ومن بعدها لم يتمكنوا من استكمال الحديث معها، فتوجهوا بعدها إلى شقة السيدة (نادية) التي استقبلتهم بكامل أناقتها وزينتها ومساحيق التجميل المبالغ فيها لسيدة تجلس بمفردها وفي هذا الوقت المبكر، ولكن ها هي تجاوب على السؤال الذي لم يطرح على ألسنتهم، ولكنه بدا على العيون فقالت مبتسمة:

- كنت سأقوم الآن بتصوير مقطع «فيديو» عن التوقعات الشهرية لبرج الميزان الهوائي.. هل أحدكما ينتمي إليه؟

- اسمحي لنا أن نتحدث قليلاً بشأن ما يحدث من حالات الانتحار المتعددة بالعمارة.

قالها (وليد) وهو يتقدم زملاءه داخل الشقة خلف السيدة التي أشارت لهم بالدخول ثم الجلوس، وقالت:

- أنتم ضباط! هيئتكم تتحدث عنكم، كما أنني كنت على علم بأن هناك غرباء قادمين، البعض منهم مرحَّب به في العقار والبعض لا.

فسألها وليد:

- أتقصدين بأننا غير مرحَّب بنا داخل شقتك؟

- لا لم أقصد بذلك التحدث عن نفسي، بل هي.

مط (وليد) شفتيه ورفع حاجبيه وأردفت السيدة:

- «الشيخة زُهرة».

فأكمل (وليد) حديثه معها بينما (سامر) و(ديهوم) التزما الصمت:

- هي مَن أخبرتك بذلك؟

- لا، ولكن كعادتها حينما يحدث أمر طارئ على المكان أو يأتي غرباء يهيج السكان أكثر من العادي، فتسمع صراخ وبكاء واستغاثات وهذا ما حدث صباحًا.

- على حد علمي إنكِ من القلائل الذين لم يتأثروا بالأصوات والخيالات والأموات الذين يتجولون بالعقار، هل هناك سبب لذلك؟

- أظن أن روحَها تصالحت معي لأني أعرف حقيقتها وتعاطفي معها ومحاولتي للتواصل روحيًّا معها أكثر من مرة حتى أجد لروحها المعذبة سبيلاً للراحة، ربما لهذا تدعني وشأني مجرد فقط زيارات سلمية بين حين وآخر.

صمتت لحظات واعترى وجهها ملامحُ اليأس وأردفت:

- أشعر بوجودها فقط، ولكني لم أرَها حتى الآن!

وهنا سكتت ونظرت إلى (سامر) وطلبت منه بذوق أن يفتح النافذة لتنعش الهواء المكتوم داخل الشقة منذ الليل، وحينما قام بفتحه دخل تيار هواء صوب كروت التاروت التي كانت تضعها أمامها على الطاولة وتناثرت تحت أقدام (ياسر ديهوم) فنظرت له السيدة ومالت تجاهه وسألته بأدب وصوت ناعم:

- أقمت بسحب أحد الكروت؟

- أعتذر منك.. ماذا تريدين؟

- لست أنا، أوراق التاروت هي من أتت إليك لتخبرك أمرًا.. فقم بسحب واحد لنرى ماذا بها!

- أوراق ماذا؟!

- التاروت.. ألم تسمع عنه من قبل؟

فنظر لها وهو يبتسم قائلًا:

- كل ما أعرفه عنه أنه كذب المنجمون ولو صدقوا.

وهنا لعلعت ضحكة السيدة وهي تقول:

- أنت متعجرف جدًّا، أتدري؟ أنا أفضِّل دومًا المتعجرفين، لأنهم لا يعرفون الكذب، صرحاء إلى حد كبير واعتزازهم بأنفسهم يجعلهم يرددون: «لا أحد يستحق أن أكذب لأجله».

وهنا نظر لها (ديهوم) عاقدًا حاجبيه مما قالت فأكملت مبتسمة:

- إذًا كل ما تعرفه عني أنني منجمة. دعني أشرح لك ببساطة لأن أوراق التاروت لا تذهب إلى أحدٍ إلا وكان معها رسالة له من الكون يجب أن يسمعها.

وهنا سكتت السيدة لحظات ثم أمسكت بيد (ديهوم) وقالت بصوت خافض يكاد يسمعه:

- أوراق التاروت هي أحداث حياتنا تتلخص في عدة كروت منها ما يسمى بالسر الأصغر وآخر بالسر الأعظم، وكل كارت له رقم وصورة رمزية تستخدم جميعًا في قراءة الطالع والتنبؤ بالمستقبل ومعرفة الماضي بتفاصيله، وخاصة لرجل مثلك يحتاج إلى الاستشفاء من آلام الماضي.

وهنا نظر لها وهو يبتسم ويجز على أسنانه وعيناه تقولان في صمت «امرأة مجنونة» فأكملت السيدة:

- فقط تصالَحْ مع حدسك، وقل «نعم» لإحساسك وستصبح أوراقك هي عينك الثالثة ومرآة لعقلك الباطن وستساعدك للوصول للهدف الذي أتيت هنا بسببه.

وهنا سحبَ يده بسلاسة من كفيها، وأومأ برأسه مع ابتسامة وهو ينظر لعيني السيدة (نادية) ويحرك يده للأسفل دون النظر لهذا الكارت الذي تناوله ثم أعطاه لها، وبعد أن ألقت نظرة خاطفة عليه قالت بنبرة واثقة:

- ألم أقل لك بأن لديها رسالة لك، ها أنت أتيت بكارتين متلاصقين دون أن تشعر.

وهنا تدخَّل (وليد) بصوت مكتوم:

- ممكن أن نتحدث قليلاً عمَّا جئنا بسببه؟

تبدلت نظرة السيدة لضيق وهي تنظر إلى (وليد) وتقول:

- حينما تتحدث الأوراق تصمت الألسنة وتسمع الأذن فقط.

جزَّ على أسنانه وصمت وعادت هي لابتسامتها وأكملت حديثها مع (ياسر ديهوم) :

- الكارت الأول هو بطاقة «الأحمق».

فرفع حاجبيه لا يدري هل هذه إساءة أم ماذا، فقامت السيدة بتقريب الكارت أمام عينيه وهي تقول:

- أترى هذا الشاب الذي يقف على حافة جرف، أمامه مغامرة جديدة وعلى وشك الخروج من الهاوية للمجهول، لا تحتاج إلى انتظار شخص ما لإعطائك الضوء الأخضر.. أنت جاهز! هذا هو الوقت المناسب!

- لا أدرى...

- شششش.

قالتها السيدة (نادية) مقاطعة للضابط وهو يحاول أن ينهي ما بدأت ويدخل في صلب الموضوع الأهم، ثم أكملت بالرغم من نظرة الاستياء التي يرمقها بها:

- الكارت الثاني.. بطاقة الساحر، أترى؟! ولكنها في الوضع المقلوب.

وهنا سأل (سامر) بتلقائية وسرعة «ماذا تعني بطاقة الساحر المقلوبة» ومعها نظر له (وليد) و(ديهوم) باستنكار فصمت محرجًا فأجابته السيدة:

- إن كانت البطاقة في الوضع الصحيح، لكانت تدل على الحيلة والقوة والذكاء ولكن يشير الساحر المعكوس إلى التلاعب والخداع والجشع فكن حذرًا على نفسك ومن نفسك على الآخرين، العالم سيساعدك فيما أنت مقبلٌ عليه فلا تثق بنفسك فقط وتهمل الإشارات الكونية.

وهنا انقطعت الكهرباء على غير العادة في هذا الوقت من اليوم فشعرت السيدة (نادية) بالفزع وهي تردِّد:

- «الشيخة زُهرة» تشعر بالغضب، أرجوكم اخرجوا من منزلي الآن.

- ولكننا لم ننهِ حديثنا.

قالها (وليد) :

- لم يعد هناك المزيد.

أجابته أثناء ملاحقتها لهم بكل صرامة لخارج الشقة، ثم أغلقت الباب وتركتهم على الدرج في الظلمة، ليس هناك إلا شحيح من ضوء الشمس المتسلل للداخل ولم تمر دقيقة ليقرروا من القادم ليطرقوا بابه، ليجدوا ظِلًّا يقف في إحدى الزوايا البعيدة عنهم لا يتحرك ولكنهم يرون عينين تلمعان رغم العتمة، فتحجروا مكانهم للحظة، وقال (سامر) بصوت يظهر ارتجافة صاحبه:

- مممما هذا؟

وهنا تقدَّم (ياسرد يهوم) ناحية الشخص واقترب، فتحركت (سلمى) وهي تضع يديها على عينيها إثر انعكاس الضوء عليهما فجأة، حيث أتت الكهرباء توًّا في العمارة، وهنا تراجعوا ثلاثتهم حينما رأوها تقف بملابس النوم التي تشف أكثر مما تستر وهنا نزع (ديهوم) سترته ووضعها عليها وسألها:

- لماذا تقفين هنا؟ هل حدثَ معك مكروه بعد أن غادرنا شقتك؟

- بعد أن رحلتم هو وهي غادرا خلفكما تمامًا، ولكنهما عادا مرة أخرى حينما انقطعت الكهرباء.

ثم صمتت وظلت عيناها تزوغان يمينًا ويسارًا وهي تقول بارتجافة:

- سيأتي بالرجال الملثمين ليقضوا علينا جميعًا.

اقترب منها ديهوم وهو يربت على كتفها بهدوء وقال بهمس:

- هل يمكننا أن نعود إلى الشقة ونستكمل حديثنا؟

- لا.. لا يجب أن ترحل بسرعة فهي لا تحب الغرباء!

- مَن هي؟

- هي.. ارحل ولا تغضبها أكثر من هذا.

قالتها وهي ترتجف وتتساقط الدموع منها، ثم شهقت وهي تشير بإصبعها في اتجاه آخر ردهة السلم، ثم سقطت مغشيًا عليها وجسدها ينتفض خوفًا.

حملها (ياسر) دون تفكير، وبخطى ثقيلة بالرغم من وزنها الخفيف اتجه إلى شقتها ووصل وهو يتصبب عرقًا إلى الباب الذي تركته (سلمى) مفتوحًا، وتتبعه بنظرات استغراب كلٍّ مِن (سامر) و(وليد) وهو يريح جسدها على أقرب أريكة وأتى مهرولًا بكوب ماء وسكب قليلًا منه على كف يده ومسح على وجهها بملامحه الصغيرة، وظلَّ يمسح على شعرها للخلف حتى استعادت وعيها وأمسكت هي الأخرى بيده وظلت ترمقه بنظرات مليئة بالبراءة، وضغطت على يده وهي تستغيث وتقول:

- أنا خائفة، أريد مساعدتكم ولكني أخشى أن يصيب أحدكم مكروه.

وهنا اقترب (وليد) هو الآخر منها وهو يسأل حاله: «لماذا يتعاطف معها إلى هذا الحد وهو لم يرَها إلا من دقائق» وسألها:

- هذا الخوف من «الشيخة زُهرة» أم هناك أمر آخر؟

وهنا اعتدلت في جلستها وتركت يد الضابط ويدها ترتجف من التوتر، وبدأت حديثها مع (وليد) فأجابته:

- هي مَن تأتي بالأموات وتجعلهم يتجولون بالعمارة طوال الوقت ويريدون أن يأخذونا معهم.

- هل تعرفين أحدًا من هؤلاء الأموات؟

وهنا نظرت حولها يمينًا ويسارًا وقالت برأس مهزوزة وبهمس:

- هو!... زوجي يريد أن يقتلني حتى لا أهنأ يومًا من دونه.

- ولماذا يفعل ذلك؟ ألم يكن يحبك؟

- كان مثل أبي بل أكبر منه بالعمر، في البداية عاملني بلطف وطيبة، وبعد أن حملت بطفل تغير وتبدَّل حاله للأسوأ وكان يضربني كل يوم ونعتني بأقذر الشتائم.

- لماذا تبدلت معاملته معك؟

- هي.. كانت تهمس له بأني على علاقة برجال آخرين، مع أني لم أبرح مكاني بالشقة منذ أن تزوجته وخاصة بعد أن ساءت حالتي الصحية من تطاوُل يده على جسدي بعدما حملت.

- أين طفلك؟

- عند أبي وأمي؟

- لماذا لم ترحلي من هنا وتتركي كل هذه الأوهام؟

وهنا وقفت وهي تصيح بوجهه في غضب:

- ليست أوهامًا، إن رحلت ستؤذيني وتتخلص من عائلتي وابني.

وفجأة صمتت ونظرت بعيدًا وظلت تكرر: «اخرجوا من شقتي.. إن كنت تريد المساعدة فافعل ذلك بعيدًا عني»، وبينما يغادر (سامر) وخلفه (وليد) الذي فزع من تحوُّل حالتها، كان(ديهوم) يرتدي سترته التي سترها بها وهي نزعتها وألقت بها أرضًا من لحظات، ثم تقدمت خطاه ناحية الباب ولكنه توقف فجأة وصاح على زميليه حتى يعودا أدراجهما لديه، وبالفعل عادا مسرعين بينما دخلت (سلمى) إلى إحدى الغرف وأغلقت بابها بعنف وهنا قال (ديهوم) :

- دعونا نبقى قليلًا لنرى نهاية ما يحدث.

فأجاب (سامر) :

- أرى أن نرحل الآن عن هذا المكان، فكل سكانه مجاذيب وهذا ما يؤكد حالات الانتحار الذي تحدث فيه وليست هناك أي شبهة لشيء غير طبيعي.

وأجاب وليد:

- نرى بأنك أعجبت بالفتاة ولا تريد بأن تخرج من شقتها.

- لا لم يعجب بها، ولكنه تعاطف معهاكعادته يتذكر زوجته التي فقدها...

وهنا اتسعت عينا (ديهوم) وهو ينظر إلى (سامر) بغضب واقترب منه وأحكم قبضته على كتفه وهو يحذره:

- هذه آخر مرة سأسمح لك بأن تردد هذا الموضوع.. إياك أن تذكره حتى بينك وبين حالك.

وهنا تدخل (وليد) لتهدئتهما وهو يجهل ما يدور بينهما فقال:

- لماذا تريد أن نبقى مع الفتاة؟، فهي لا تريد أن تتحدث.

فأخبره (ديهوم) أنه يريد أن يتأكد إن كانت هناك «كاميرا» خلف المصباح الكهربائي المعلَّق بالسقف مثل ما وجد بمدخل العمارة أم لا، فقام بالصعود على أحد الكراسي وظلَّ ينظر بكل الأماكن الممكنة، ولكنه لم يصل لشيء. كل هذا ولم تخرج (سلمى) مرة أخرى، فقام الضابط بالنزول ثم هاتف المقدم (مصطفى) وطلب منه إرسال فريق البحث الذي أتى للعمارة من قبل وقام بفك «الكاميرا» التي وجدوها بالمدخل وجلسوا حيث هم، كل منهم يقلب بهاتفه، يخشى (سامر) أن يلفظ حرفًا آخر فيخسر زميله، وصمت الآخر لعدم فهمه ما يدور بينهما، ظلوا هكذا إلى أن وصل أحد أفراد فريق البحث فهم الجميع بالوقوف ورحبوا به وتقدمهم (ديهوم) وطلب منه:

- هل تتذكر كيف أخرجت الكاميرا من هنا؟

- نعم، ولكنها لم تكن كاميرا فقط هي جهاز تسجيل صوت وصورة على أعلى طراز، ولكني لم أتمكن من نزعها بسلام فهي دقيقة جدًّا وحساسة للغاية، حينما اقتربت منها لأقوم بفكها تعطلت ولم نستطع الحصول على ذاكرتها.

- كلام غير مُبشر ولكن مع ذلك... الآن لدي شك بوجود مثيلتها هنا معلق بالسقف خلف هذه النجفة، إن وجدت واحدة حاول أن تتعامل معها بدقة أكثر.

- دعنا نحاول.

نظر الرجل في أركان الشقة باحثًا عن سلم متحرك ليصعد عليه، ولكنه لم يجد فطلب الضابط من الحارس عبر الهاتف أن يأتي بواحدٍ، وبالفعل أتى بالسلم في غضون دقائق وها هو يصعد عليه بينما يقف الحارس مع الثلاثة ضباط فسأله (وليد) في وسط المزاح:

- هل يتردد السيد (علي الطويل) على العمارة؟

- لا... لا يأتي هنا إطلاقًا، ولكنه يرسل رجلًا يتفقد المكان إذا كان يحتاج أي صيانة أو تصليحات من سباكة أو ترميم وغيره، كما أنه يرسل راتبًا لي مع بداية كل شهر.

- لماذا هو سخي معك، ألم تأخذ راتبك من السُكان؟

- وأين هم السُّكان سيادتك، لم يتبقَّ منهم إلا القليل والباقي في عالم آخر غير عالمنا.

- ما رأيك في حكاية «الشيخة زُهرة»؟

- ربنا يجعل كلامنا خفيف عليها... يا حفيظ يا حفيظ.

- هل رأيتها يومًا؟

- لا لم يحدث، ولكني رأيت السُكان يتحدثون ويسيرون ويسمعون وينفذون أوامر شيئًا لا أراه وهم يرونه جيدًا ويتبعونه.

- لماذا برأيك لم تحاول أذيتك؟

أخبره الحارس عما يعتقده تجاه الأمر، وأن هذه الأرواح تأتي لأشخاص معينة، وبينما هو يقص عليه حكايات أجداده المشابهة لحكاية «الشيخة زُهرة» قاطعه (وليد) سائلًا:

- إذًا أنت لم ترَ رجل الأعمال (علي) أبدًا؟

- لا، ولكني رأيت زوجته فهي أتت هنا مرة واحدة، كانت تسأل نفس السؤال «هل يأتي السيد (علي الطويل) هنا؟» وقامت بالتنقل بين طوابق العمارة في صمت ثم رحلت ولم تأتِ مرة أخرى.

- هل سمعتم هذا؟!.. أين ديهوم؟

قالها (وليد) وهو يتلفت حوله ولم يجد زميله الذي تسلل في صمت واتجه إلى الغرفة التي دخلتها (سلمى) ، وها هو يطرق بابها، ولكنها لم تستجب وهنا صاح رجل البحث ليأتوا جميعًا ليخبرهم أنه وجد واحدًا آخر من أداة التجسس وأنه يحاول فكها برويَّة، فظل الجميع ينظر له بترقب حتى قام بنزعها ولم ينكسر منها شيءٌ ثم نزل بها وجلس ليتفقدها وبعد دقائق بدر على وجهه خيبت أمل وهو يخبرهم بأنها فصلت تمامًا ولا سبيل من تشغيلها ورؤية ما بها، لأنها تعطل تلقائيًّا حينما تنزع من

مكانها، هنا بدا على وجه (ديهوم) التوتر وهو يفرك مقدمة رأسه ثم توجهه مرة أخرى إلى نفس الغرفة، ولكن هذه المرة ظلّ يقاوم الباب ويدفعه بكتفه ويحرك المقبض حتى تمكَّن من فتحه، وحينما دخل وجد الفتاة ملقاة على الأرض غارقة في الدماء بعد أن قامت بقطع شرايين معصمها توًّا ولم تفقد الوعي بعد، بينما هو يقترب منها محاولًا أن يضغط على الجرح ويصيح بوجهها «لماذا فعلتِ ذلك»، فأجابته بأنفاس متقطعة:

- لقد أتى بالخارج وأنا أتحدث معكم وظلَّ يصرخ بوجهي لأقوم بطردكم، حتى لا يتأذى أحدٌ منكم وهي كانت بجواره فخشيت أن يصيبكم مكروه.

وهنا قام (سامر) بمهاتفة الإسعاف ليرسلوا سيارة طبية مجهزة في أسرع وقت، بينما (سلمى) تنظر إلى شيء ما ناحية الجدار وتحدِّثه «اتركني...لا أريد الذهاب معك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٥)

«إن تمكَّن الخوف من عقلك سيقودك للهذيان ثم الموت»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تمر أحداث هذا اليوم بسهولة، كانت ثقيلة ومؤلمة أعادت الكثير من الذكريات والمواقف المؤلمة ليست على (ياسرد يهوم) فقط بل على (سلمى) أيضًا، حينما دخلوا عليها الغرفة وجدوها قد مزقت صور زوجها المتوفي ومعها قامت بجرح معصمها، ولكن لم يحن موعد رحيلها عن الدنيا بعد، فقد أتت المساعدة في الوقت المناسب وقاموا باللازم ونقلت إلى المستشفى وعادت إلى وعيها بعد عدة ساعات.

عاد (ياسر) إلى بيته مطأطئ الرأس لونه شاحب كان يبكي طوال الطريق ليس على (سلمى) بل على زوجته، فحينما صعد شقته وأحكم بابها ظلَّ ينحب كالأطفال ويعتذر لها لأن يديه لمستا أنثى غيرها معللًا بأنها ليست شهوة بل تعاطفًا معها لأنه رآها في تلك الفتاة تستنجد به وتنادي باسمه، ظل على حاله حتى غفت عيناه وهو جالس على الأرض مستند الرأس على حافة كرسي حتى تخلَّل ضوء الشمس ستائر نافذته البيضاء فأيقظه، وتحسس ملابسه التي لم يبدلها من أمس وأخرج الهاتف ليجد رسالة من زميله (سامر) «آسف على ما حدثَ أمس، لم أتعمد التحدث عن أمورك الشخصية، فقط لأوضِّح سبب رد فعلك المبالغ فيه مع الفتاة» فأجاب عليه (ياسر) «هذه ليست المرة الأولى، وأعلم أنها لن تكون الأخيرة»، فردَّ عليه (سامر) تقريبًا في نفس لحظة وصول الرسالة «أقسم لك لن أتحدث مرة أخرى عن حادث زوجتك الأليم».

وهنا ترك (ديهوم) الهاتف وهو يجز على أسنانه ويزفر من كلام زميله، الذي أكَّد له أنه لن يتوقف عن طريقته المستفزة، ضيق النفس من ليلة أمس لم يرحل ورأسه ممتلئة بالأحداث التي يريد أن يتجاهلها ولم يستطع، فمثل ما غفا استيقظ على وجه زوجته وحينها لم يجد أمامه غير زجاجة الخمر التي يخبئها بخزانة المطبخ فقام بسكب القليل منها في كوب محاولًا أن يهدِّئ أعصابه ويتمالك نفسه، ولكنها لم تكفِ؛ فشرب الثانية وقبل أن يهم بسكب الثالثة منع نفسه وأعاد الزجاجة مكانها. مرَّ وقت طويل على آخر مرة تناول فيها بعض منه، ولكنه منذ أن رأى (سلمى) وما آلت إليه أحداث أمسّ فكان بحاجة شديدة للقليل منه، وبعد أن استعاد أنفاسه اتجه إلى الحمَّام وبعدها بدَّل ملابسه متجهًا إلى مبنى المباحث.

يجلس كلٌّ من (سامر) و(وليد) بغرفة الاجتماعات في وسطها طاولة بيضاوية تحيطها الكراسي من كل الاتجاهات وعلى أحد الجدران شاشة كبيرة، قام (وليد) من جلسته واقترب من (سامر) وجلس بجواره وسأله بفضول يعتري عينيه:

- أظن أن الجميع على عِلمٍ بحادث زوجة ديهوم، ولكن لا أحد يتحدث عن الأمر؟

- نعم... ولكني أعرف تفاصيل لا يعلمها غيري.

- ولهذا سألتك!

وهنا اعتدل الضابط وكأنه كان ينتظر هذا السؤال ليجيب عليه بهذا الشغف، فأخبره أنه في إحدى الليالى كان فيها (ياسر) مخمورًا يجلس في أحد النوادي الليلية إثر صدمته من شنق متهم أثبتت الدلائل فيما بعد أنه بريء وكان هو من أشار إليه كل أصابع الاتهام، فذهبت إليه زوجته وأخذته من هناك وكان تأثير الخمر عليه واضحًا وهما في طريقهما بالعودة إلى المنزل في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل كان السائق تحت تأثير المخدرات، وقام بإيقاف السيارة وسحب السيدة خارج السيارة وقام باغتصابها حتى أجهضت الطفل الذي حملت به بعد عدة سنوات من الزواج، ظلت تنزف حتى الصباح وماتت.

- وأين كان ديهوم؟ ألم يَفِق في وسط كل هذا؟

- لم يكن بوعيه، لقد أفرط في الشراب حتى فقد عقله تماما ولم يعد لرشده إلا بعد فوات الأوان، ووجد نفسه ملقى بجوار جثة زوجته على الطريق.

وهنا رفع (وليد) حاجبيه وهو يقول:

- ولهذا هو يحمل نفسه ذنب ما حدثَ لها!

- وللطفل الذي لم يرَ النور ويتعاطف مع كل أنثى تطلب المساعدة.

- ولكن انتظر لحظة! كيف لم تعثروا على لوحة أرقام سيارة الفاعل من الكاميرات التي تُعلَّق على مدخل النادي الليلي؟

- بالطبع فعَلْنَا ذلك، ولكن لا وجود للأرقام الموجودة باللوحة كانت مزيفة، وبالتالي هذا السائق الذي يقبل على فعلة كهذه، إما هارب من العدالة أو مجرم لم يتم القبض عليه بعد.. وبين ذلك وذاك لم يتذكر ديهوم ملامح وجهه حتى الآن.

وهنا مطَّ الضابط شفتيه وهو ينظر باستنكار إلى (سامر) ويقول:

- الضابط الهُمام الذي يُشيد به المقدم (مصطفى) بكل مكان ويقول عنه إنه الأفضل دومًا لديه نقاط ضعف كثيرة وهذا لا ينم عن خير قادم.

وهنا دخل المقدِّم (مصطفى) وبيده ملف به كل ما يخص حوادث انتحار «عمارة الشيخة زُهرة» وجلس بالكرسي الموجود على رأس الطاولة ويخلفه (ديهوم) الذي قابله على باب الغرفة وألقى السلام ثم دخلا، وهنا رمقهما الضابط (وليد) بنظرة غيظ لم يلحظها (ياسر) لتركيزه مع (سامر) حتى يرسل له نظرة لوم وجلس بالجهة المقابلة لهما ولكن السيد (مصطفى) رآها وفهمها جيدًا، لذا أول جملة استهل بها حديثه قائلًا:

- يجب أن نتكاتف حتى ينتهي ذلك سريعًا فلا مجال للخطأ ولا التأخير، حالات الانتحار لا تتوقف والمالك رجل سياسي يحذر المساس باسمه.

نقر (وليد) بإصبعيه على الطاولة وهو ينظر بخبث بطرف عينه قائلًا:

- بالتأكيد يجب أن يضع كلٌّ منا مخاوفه جانبًا ونركز فقط على المعطيات.

وهنا زفر (ياسر) وخبط بيده على الطاولة وهو ينظر إلى (سامر) ويقول بغضب جم:

- ألم أحذرك أمس؟

- لا.. لست أنا من حكى له تفاصيل حادث زوجتك.

وهنا سكت الثلاثة حينما اعترى الغضب تعابير وجهه السيد (مصطفى) وساد الصمت دقائق إلى أن قال:

- لا ضرر يا (ياسر) من معرفته بذلك، وأنا أتفق معك يا (وليد) على ما قلته بخصوص نقاط ضعف ديهوم، ولكني أراهن على نقاط قوته وحدسه الذي لا يخيب.

فتدخل وليد قائلًا:

- ولكنه خاب ذات مرة!

- هذا يكفي يا (وليد) دعنا نتحدث عما اكتشفتوه أمس أو بالمعنى الأدق ما توصَّل إليه (ياسر).

هنا كان (ديهوم) ينظر إلى (وليد) ولم يستطع الرد عليه لأنه ضغط على جرح قلبه فآلمه وأسكت لسانه واكتفى بمساندة رئيسه بالرد بالنيابة عنه، وحاول أن يَخرج من الحالة التي وضعه بها، فسأل قاصدًا ليعيد له سخافته ويؤكد بأنها لم تؤثر عليه:

- ما أخبار الفتاة؟

فأجابه السيد (مصطفى) قائلًا:

- استعادت وعيها كاملًا وتعامَلوا مع الجرح جيدًا ومحتمل مغادرتها المشفى اليوم أو غدًا، ولكنها حينما سألت لماذا فعلت ذلك لم تتذكر شيئًا سوى أنها كانت تشعر بالخوف من زوجها المتوفي.

فقال (ديهوم) بحماسٍ:

- يجب أن نعود للعمارة والتحدث لبقية السكان أظنهم اثنين، كما أنني أطلب من سيادتك عودة فريق البحث إلى هناك للعثور على كاميرات في باقي الشقق.

- هذه نقطة جيدة سوف أخبرهم بذلك الآن.

هنا تدخَّل (سامر) وأخبرهم عما قاله حارس العقار عن زوجة السيد (علي الطويل) مما أثار دهشتهم وخاصة (ديهوم) فإنه لم يسمع هذا الحديث من قبل فسأله:

- متى قال الحارس هذه المعلومة؟

فنظر له (وليد) ساخرًا:

- حينما كنت تتفقد الفتاة.

لم يبالِ (ديهوم) لما يرمي إليه زميله، وطلب من السيد (مصطفى) أن يرى الملف الذي معَهَ فناوله إياه، وظلّ يقلب بالصور ويعطيها لزملائه وفي النهاية قال بنبرة حيرة:

- غريب جدًّا أن تقع عدة حوادث انتحار بنفس المكان دون سبب منطقي.

فأجابه رئيسه:

- لم نجد تفسيرًا علميًّا لحالة المنتحرين حتى الآن.

- وماذا قال الطب الشرعي بعد تشريح الجثث؟

فأكمل المقدم (مصطفى) مفسرًا:

- كلهم نفس الأعراض التي شهدها الجميع قبل الانتحار، زيادة سرعة ضربات القلب مما تسبب في انقباض الأوعية الدموية وارتفاع ضغط الدم وزيادة إفراز الجلوكوز، كل هذا بسبب ارتفاع شديد في معدل هرمون الأدرينالين في الجسم.

فقال ديهوم متعجبًا:

- وكل هذا سبَبُه الخوف الشديد؟!

- بالفعل.. إنه الخوف فقط!

وهنا أخرج الضابط (وليد) سيجارة من علبته، وأشعلها وهو يخبرهم أن صورَ الموتى بها شيء منفر ويدعو للذعر كلهم نفس الجسد النحيل، السواد القاتم أسفل عيونهم، شعر أشعث بروز حاد في عظمة الخد، حتى تعابير الوجه عند لحظة الوفاة بها لمحة مريبة، فتدخل (سامر) قائلًا بذعر وهو ينظر لإحدى صور المنتحرين:

- ربما يكون استحواذًا شيطانيًّا.

فقال له وليد وهو ما زال ينظر بالصور:

- لا أؤمن بهذه الأشياء ولكن ربما... ذات مرة تم القبض على رجل كان يفعل بمجموعة من الناس أشياء غريبة ونحن رأيناها بأعيننا، منهم كان يلتوي للوراء ويمشي عكسًا، ومنهم كان معلقًا بالهواء وهكذا، ولكنها لم تصل بالسيطرة على عدة أشخاص لوقت طويل وإجبارهم على أفعالٍ مثل الانتحار.

وهنا نظر السيد (مصطفى) إلى (ديهوم) الذي كان يحاول أن يستفيق من الخمر الذي شربه ويستعيد تركيزه وسأله:

- استحواذ شيطاني!! ما رأيك؟

- ومَن الذي وضع «الكاميرا»، أهو الشيطان أيضًا؟!

فتدخَّل (وليد) مكملًا ما قاله الضابط (سامر):

- أتقصد أن هناك شخصًا هو من يضعهم تحت التأثير الشيطاني المسمى بـ «شبح الشيخة زُهرة».

فأجابه سامر:

- ربما يكون هناك شخص خلف حدوث ذلك أو لا، ويكون كما يتردد عن السيدة التي توعدت لهم بالانتقام منهم حتى بعد موتها.

وهنا بدأ (ديهوم) بفرك عينيه وتحسَّس سترته ليخرج علبة سجائره، ولكنه لم يجدها فتذكر أنه نساها بالسيارة، وقبل أن يقيم رأسه وجدَ (وليد) يمد يده له بواحدة فأخذها ثم ناوله القداحة معها، وهنا نظر السيد (مصطفى) إلى (سامر) وصاح به:

- أهذا وقتُ تصفُّح «الفيسبوك»؟!

- لا... لا كنت أطمئن على ابني فوالدته أخذته إلى الطبيب.

قالها ثم ترك الهاتف وأكمل حديثه معهم مفسرًا:

- إنما «الكاميرا»، ربما يكون أحدٌ قام بمراقبتهم ليعرف سببَ ما يحدث حتى يتوصل لتفسيرٍ مثلنا ولا يوجد فاعل.

فأجابه (ديهوم):

- سوف نعرف ذلك اليوم.

فأكمل (وليد):

- حينما يذهب فريق البحث ليبحثوا عن أجهزة أخرى للتجسس؟

- بالضبط.

- ماذا تعني؟ لم ألتقط ما يدور بذهنك.

قالها (سامر) وقبل أن يجيبه زميله تلقى المقدم مكالمة هاتفية لإخباره أن الكهرباء انقطعت توًّا عن «عمارة الشيخة زُهرة»، والسكان المتبقيون في حالة من الذعر والصراخ ويرددون بأنهم يسمعون أصواتًا ويرون خيالاتٍ تركض بالعمارة منذ أمس وأثاث بيوتهم يهتز بين الحين والآخر، ومنهم من يصيح بأنها غاضبة من زيارة الغرباء ولن تدعهم وشأنهم، وبعد صمت دقائق، قال (وليد):

- دعونا نذهب لنرى ما يحدث بأنفسنا، ولنكمل ما بدأناه أمس.

- ولكن ألم تسمع ما قاله عن أنها غاضبة؟

قالها (سامر) بتوتر وفي قرارة نفسه مقتنع جدًّا بأن هناك قوى خفية تحرك الأحداث، بينما قام الضابطان بالتوجه خارج الغرفة فنظر له رئيسه باستنكار وهو يخبره بأنه لن ينال الترقية التي يسعى لها ما دام يصر على دور المتفرج التابع، فنظر له الضابط وكلما حرك شفتيه ليقول شيئًا يعود للصمت مرة أخرى إلى أن وقف واستأذنه للحاق بهما.

في غضون دقائق وصل ثلاثتهم إلى العمارة ليجدوا فريق التحقيق والفنيين يقفون بالخارج يشعرون بالخوف من الأصوات التي سمعوها تصدح في أركان العمارة وتحججوا بأن الكهرباء منقطعة، ولن يستطيعوا مواصلة البحث فقام (وليد) بالإذن لهم بالانصراف، وأن ينتظروا حتى تعود الإضاءة ثم تقدَّم الثلاثة ضباط بالدخول حذرين، صعدوا الطابق تلو الآخر حيث مروا على شقة (سلمى)، ثم شقة السيدة (نادية) التي كانت تقف لهم عند الباب وأخبرت الضابط (ياسر) بأنها تنتظره حتى ينزل لتسأله عن أمرٍ ما، ثم وصلوا عند شقة السيد (سعيد) وكانت هذه المرة الأولى لرؤيته والتحدُّث معه، بعد أن فتح لهمِ الباب وجدوا أمامهم حطام رجل جسده ينتفض، يداه ترتعشان ولا تكف جفونه عن الحركة السريعة حينما رأوا شكلة لم ينبس أحدهم ببنت شفة إلى أن استدار الرجل ودخل شقته فترجلوا خلفه للداخل وجلس الجميع، أراد (ياسر) كسر الصمت والذهول قبل طرح الأسئلة فدارت عينه بالأرجاء حتى وقعت على النباتات المرصوصة في أُصُص الزرع الموجودة بمنتصف الصالة، وخلفها نافذة زجاجية تطل على مسقط العمارة فقال مبديًا إعجابه بها:

- أأنت من قام بزراعتها ورعايتها؟

- لم يتبقَّ لي شيء غيرها اهتمَّ به غيرها بعد موت زوجتي.

- شكل أوراقها جميلٌ وغريبٌ، وخلفها مواسير متداخلة وعدة صنابير للري... أنت إذًا عالِم نباتات ولست هاويًا؟

- كان هذا قديمًا، ولكن الآن مات الشغف بعد موت زوجتي ونهش السرطان جسدي.

فنظر له (سامر) مع ابتسامة شفقة وهو يقول:

- شكلها فعلًا جميل جدًّا!

فأجابه (سعيد) بنبرة مرتجفة:

- تنتظر حتى تكبر وتترعرع ثم تتخلص منها وتذبلها وتقتلها مثلما فعلت بزوجتي.

فسأله (سامر) بنبرة أكثر توترًا:

- ممَّ من... أتقصد؟!

- هي «الملعونة زُهرة» ليس هناك غيرها هي وأمواتها يتخلصون منَّا بالبطيء.

- ولماذا لم تغادر العمارة وترحل لمكان آخر.

قالها (وليد) وهو ينظر لحال الرجل محاولًا إخفاء نظرة الذهول التي تعتري وجهه فأجابه الرجل بصوت مرتعش وأسنان مصطكة:

- لن أترك روح الغالية معها بمفردها، يجب أن تأخذني إليها، يكفي أنني لم أصدقها بالبداية، حينما كانت تراها وتخبرني أنها تريد الفرار من هنا، ولكنني كذَّبتها ووصفتها أمام الجميع بالمجذوبة؛ يجب أن أدفع الثمن حتى ألقاها.

وهنا نظر الثلاثة إلى بعضهم في يأس، فالرجل ليس لديه جديد ليخبرهم به، حاله مثل الجميع بل أسوأ، وهنا تنهد (ديهوم) وهو يستأذنه بأن يتجول بالشقة ويلقي نظرةً فأجابه (سعيد) بإيماءة رأسٍ، ثم قام وأمسك برشَّاش الماء وجاروف صغير وظلَّ يعبث بنباتاته، بينما قام (وليد) ودخل إحدى الغرف، واتجه (ديهوم) إلى أخرى فاكتشف أنها الحمَّام، بينما (سامر) تسمَّر مكانه ممسكًا بهاتفه يضيء الكشاف ويتتبع الرجل بتوتر وفجأة أسقط (سعيد) الأدوات التي بيده ووضع يديه على أُذنيه وهو يصرخ من الألم، ثم اتسع بؤبؤا عينيه وهو ينظرفي اتجاه الباب ويردِّد «لا ذنبَ لي... لم أسمح لهم بالدخول... سامحيني... سامحيني» وهنا تسارعت أنفاس الضابط ومعها دقات قلبه ولم يتحمل ما يراه فهمَّ واقفًا ثم وقع منه هاتفه وهو يفرُّ من باب الشقة وهرول على السلالم نزولًا حتى غادر العمارة.

حينما دخل (ديهوم) الحمَّام لمح رغم الضوء الشحيح خيالًا لامرأة خلف ستارة حوض الاستحمام، ميزها أنها أنثى من خيال شعرها المنسدل بضفيرتين على كتفيها، وترتدي شيئًا كالعباءة الفضفاضة لا تكشف شكل جسدها، تقف خلف ستارة الحمَّام دون حِراك، فهرع ناحيتها وأزاحها دون تردُّد ليرى السيدة بوضوح، ولكنه لم يجد أحدًا فأعاد الستارة ولكنه لم يجد حتى الخيال، شعر حينها بأن تيارَ هواءٍ باردًا جدًّا يتسرب ويخبط في رقبته من الخلف، وقبل أن يلتفت انقطع الهواء للحظة ثم عاد وكأنها أنفاس متقطعة لشخص يقف خلفه، شعر الضابط معها بقشعريرة تسري بجسده، وقف معها شعر رأسه وجسده وارتفعت حرارته وانقبض قلبه، وبعد لحظات استجمع أنفاسه واستدار ليرى مصدرَ ما يحدث، لم يجد شيئًا، ولكنه وجدَ نفسه أمام المرآة أعلى الحوض ورأى نفس خيال المرأة خلف الستارة ينعكس في المرآة فعاد بنظره للوراء، ولكنه لم يجد شيئًا مرة أخرى، وقبل أن يفقد السيطرة على حركة فكه من صوت أسنانه المتخبطة التي يسمع صوتها لأول مرة في حياته، تقدَّم بخطى سريعة إلى الخارج فوجد صاحب الشقة (سعيد) حاله ما زال على ما هو عليه، يترجى ويصرخ للفراغ الذي أمامه بألَّا يؤذيه، في نفس الأثناء كان (وليد) في غرفة نوم في نهاية ردهة الشقة يحاول أن يستجمع قواه ليفهم عقله ما تراه عيناه، فمنذ أن دخل الغرفة لم يحرِّك ساكنًا، لمح حركة في أحد الجوانب شديدة الظُلمة، مساحة مربعة فارغة بجوار الدولاب حتى الحائط، خيال يتحرك، وحينما حملق ودقق النظر وجد قطةً تظهر على مراحل من الفراغ بداية من رأسها، ثم جسدها الملتوي، وبعده الذيل ومنها تحركت إلى السرير المُظلِم الذي تظهر عليه سيدة جالسة ينسدل على كتفيها ضفيرتان وترتدي ملابس فضفاضة لونها أسود، ثم اختفت هي والقطة التي بدأت في الظهور في جانب آخر، وهنا عاد أدراجه وتحركت قدماه للخلف حتى خرج من الغرفة، ثم اعتدل وأسرعَ خُطاه للخارج ليجد زميله يقف متخشبًا يفتح فاهُه على آخره وهو ينظر للرجل، فاقترب منه وأمسك يده ليثير انتباهه، ولكنه دبَّ الفزع في قلبه فانتفض (ديهوم) بعيدًا عنه، ثم قال الاثنان في نفس اللحظة: «فلنرحل من هنا» وهما في طريقهما للباب تعرقل (وليد) في هاتف (سامر) فالتقطه بسرعة البرق وهما يتخبطان خروجًا من الباب.

عادت الكهرباء وأضيئَت الأنوار في الطابق، وقبل أن ينزلا وجدا على باب الشقة المقابلة لـ (سعيد) رجلًا وامرأة وفتاتين يقفون متسمرين في صمتٍ ينظرون لهما، والأربعة تكسو وجوههم وما تعرى من أجسادهم جروحٌ داميةٌ، وهنا خرجت السيدة (نادية) بالطابق الأسفل وهي تنادي على (ديهوم) وتنظر له مبتسمة مستندة اليد على حافة الدرابزين، وتقول:

- أوراق التاروت تناديك تريد أن تخبرك سرًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٦)

«الخوف مقبرة العقول»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نزل الضابطان سريعًا حتى وصلا خارج العمارة وكانا يلهثان كأنهما أنهيا للتوّ مسابقة ماراثون للجري، ثم نظر كلٌ منهما للآخر وسأل (وليد) زميله/ «أظن أننا يجب أن نعود ونساعد هذا الرجل الذي تركناه يتألم» فأجابه (ديهوم) «بأن قدميه لم تعدا تستطيعان حمله»، ومع أنه كان على عِلم بكل ما رأى، لكنه حتى الآن يجد صعوبة في استيعابه، كما أنهما يجب أن يطمئنا على (سامر) الذي اختفى ولم يتبقَّ منه إلا هاتفه، فنظر (وليد) بيده وقال:

- ولكن كيف نطمئن عليه فهاتفه معنا؟

- حاول أن تفتحه.

وبعد لحظات تفقَّد فيها الهاتف ووجده محميًا برقم سري فلم يستطع فتحه فأخذه منه (ديهوم) وأخبره أنه سيقوم بالاتصال بزوجته على هاتف المنزل أثناء رجوعه إلى مقر المباحث ولربما عاد إلى هناك، وبالفعل ركب كلٌ منهما سيارته وقام الضابط بالمهاتفة فأجابته زوجة زميله فاطمأن منها في البداية على حالِ الطفل الذي قال (سامر) إنها كانت به للطبيب صباحًا، ثم سألها بلطفٍ عن زوجها حتى لا تنزعج من اختفائه فقالت:

- أظنه معك، كما قال لي منذ ساعة تقريبًا.

- بالفعل كان معي، ولكنه رحل منذ قليل فتوقعت أنه عاد إلى مقر المباحث على كلٍّ أنا في الطريق إليه، سأتصل بك مرة أخرى لأطمئن على الولد، وفي حال حدَّد الطبيب ميعاد إجراء العملية يجب أن أعرف حينها.

ثم أنهى المكالمة وأكمل طريقه، وحينما وصل التقى بـ (وليد) وهو يقوم بركن سيارته، ثم توجها إلى مكتب السيد (مصطفى) لإخباره بآخر المستجدات، وحينما قرعا الباب ودخلا وجدا رجل الأعمال (علي الطويل) يجلس معه واضعًا قدمًا على الأخرى، ينتعل حذاء جلديًّا شديد اللمعان والنظافة زوجًا وكأنه أخرجه من علبته الآن ويرتدي بدلة رمادية من إحدى الماركات العالمية ورائحة العطر الذي يضعه تعبق الغرفة، وحينما عرَّفه الرئيس بهما أنهما المسؤولان عن التحقيق مع سكان العمارة استقبلهما بابتسامة هادئة مثل حركته وعينان تلمعان وسلام حار وهو يقول:

- الآن بدأت أشعر أن الغمة قربت على الانتهاء وسأفيق قريبًا من كابوس «الشيخة زُهرة» وأشباحها.. لقد أخبرني المقدِّم (مصطفى) أنه قام باختيار أفضل المحققين لديه.

وهنا تبدَّلت الابتسامة على وجه الضابطين إلى نظرات توتر متبادلة بينهما حينما سمعا اسمها، لاحظ رئيسهما والسيد (علي) الذي سألهما بفضول:

- هل حدث شيء هناك؟

- لا، ولكن شكل السكان يبدو مريبًا بعض الشيء.

قالها (ديهوم) محاولًا إخفاء توتره، فقال (علي الطويل) وقد ارتسم اليأس على وجهه:

- ليست هذه المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الكلام، وأتمنى أن ينتهي في أقرب وقت بمساعدتكم.

قالها ثم قام من جلسته وقفل زرار سترة البدلة واستأذن المقدِّم، وألقى التحية على الضابطين بوجه مريح وهو يطلب منهما برجاء «تخلصوا منها في أسرع وقت»، بعد أن رحل طلب السيد (مصطفى) منهما الجلوس وهو يسألهم «أين (سامر)؟» وقبل أن يلفظ أحدهما بحرف كان ثالثهم يقرع باب الغرفة فسمح له رئيسه بالدخول، وقبل أن يجلس سألهم بعينين زائغتين:

- هل وجدتم هاتفي؟ لقد سقط مني...

- نعم... ها هو.

سأل المقدم باستغراب:

- كيف فقدته؟

فأجابه (ديهوم) سريعًا:

- لقد وقع منه في سيارتي ولم يرَه.

فأكمل (سامر) مرتبكًا:

- بالضبط هذا ما حدث.

فسأله ديهوم:

- كيف حال ابنك الآن؟

- على ما يرام تحسنت حالته قليلًا.

وهنا نظر له (ديهوم) باستنكار، ولكنه لم يعلق وشرعوا في قص ما حدث معهم في العمارة وبعد أن أنهوا، اعترت علامات الذهول وجه المقدِّم سأله (وليد):

- ماذا قال السيد (علي) عن أجهزة المراقبة التي وجدناها؟

- ليس له علاقة بها ولا يجد لها تفسيرًا غير أن هناك الكثير من المعارضين والمنافسين له في السوق يتلاعبون به وبسمعته، محاولين أن يلصقوها باسمه الشبهات والشائعات، وقال بإنه محاط بالكثيرين منهم، الذين يحاولون التخلص منه لأن سياسته في التجارة ليست هدفها الجشع مثلهم فهو في نظرهم يحرق الأسعار حتى يتسنى له من الدولة المناقصات والمشاريع العقارية القوميه الكبرى.

- وبماذا فسر زيارة زوجته؟

- قال إنه لا يعلم عنها شيئًا، وسيقوم بالاستفسار منها حينما تهاتفه لأنها ذهبت مع أولادها رحلة استكشافية ويصعب الوصول إليها؛ أنت تعرف هُم يعيشون بلندن وتأتي زيارات بين الحين والآخر فسيبقى الوضع صعبًا بالنسبة لنا أيضًا لاستجوابها.

- ما رأيك بالسيد (علي)؟

قالها (ديهوم) وهو ينظر لرئيسه الذي أجابه:

- مثلما رأيت؛ شخص هادئ مبتسم لديه طريقة مريحة في الحديث سمعته طيبة، يساعد الجميع لا تشوبه شائبة حتى الآن غير أنه مالك العمارة.

- ذو السلطة والمشاهير يحاولون الظهور بشكل مهذب مبالغ فيه حينما يشعرون بالخطر.

- ائتني بدليل واحد لأقدمه للنيابة حتى يتسنى لنا أخذ إجراء رسمي معه.

ثم دخل عسكري أخبرهم بأن فريق البحث عادوا إلى العمارة، وبدأوا البحث بكل أرجاء الشقق، ولكنهم لم يعثروا على شيء حتى الآن، والبعض منهم رحلوا خوفًا من شكل السكان، وهنا سأل (وليد): «هل يمكننا أخذ أحد الأطباء لفحص السكان المتبقيين» فأجابه السيد (مصطفى)»:

- بالفعل، لقد ذهب عدة أطباء، وتعاون رجل الأعمال معنا بمبالغ مالية كبيرة حتى يتيح لنا حضور أفضل النماذج للقيام بذلك، وكل مرة نفس النتيجة حال السكان المضطرب نتيجة التعرض لخوف وفزع شديد.

- هل يمكن لرجل أن يفعل كل ذلك ويكون محل شك ولو للحظة واحدة يا (ياسر)؟

قالها (سامر) وهو يتحاشى النظر تمامًا لرئيسه، فأجابه زميله:

- حتى الآن كل الرُؤى ضبابية، وازدادت غموضًا بعد ما حدث معنا اليوم، ولكن لا يمكن أن أغفل عنه لأنه مالك العقار وهذه ليست مزايدة على سُمعته الطيبة ونهجه النظيف والشهادات العلمية التي حصل عليها خلال مشواره، كل هذا وذاك بخلاف الجمعيات الخيرية الكبيرة التي لم يكن لها وجود إلا بدونه.

فقال وليد:

- أنت قمت بدراسة وافية في وقت قصير جدًّا على ما أظن!

- ليس وقتًا قصيرًا، هذا لأنك جديد هنا معنا، وأنا كنت منتظرًا أن أحقق في حوادث «عمارة الشيخة زُهرة» منذ فترة بعيدة جدًّا، وكان هناك شغف ولم يتوافر دليلٌ، أما الآن فقد تحوَّل الشغف إلى خوف وهذا يحدث لأول مرة معي على مدى مشوار عملي كمحقق.

انزعج المقدِّم من جملة (ديهوم) الأخيرة وسألهم عن تفسير عدم وجود كاميرات في بقية العمارة إلا في المدخل وشقة (سلمى)، بالرغم مما رآه (وليد) وما زالت آثاره تتحكم بقبضة قلبه، إلا أنه أجاب بنبرة واثقة، بأنه من المؤكد كان هناك المزيد ولكن مِنْ أمس حتى الآن مرت ساعات عديدة حملت

الكثير من الفرص حتى تنزع من مكانها فتدخل (سامر) معارضًا بأنه كيف سيحدث ذلك والسكان لم يغادروا أماكنهم، فردَّ عليه بتهكُّم بأنها نُزعت كما وُضِعَت وهم أيضًا ببيوتهم لم يبرحوا، صمت الأربعة رجال عدة دقائق، ثم قال ديهوم وهو يفرك بمقدمة رأسه:

- خيط «الكاميرات» ليس له إلا تفسيران لا أكثر والاثنان مرتبطان بـ (سلمى)، أولهما بأن يكون الفاعل قام بتركيب هذه «الكاميرات» من أجل الفتاة، لذلك وضع واحدة بالمدخل وأخرى بشقتها فقط، إذًا فما يحدث له علاقة بشكل أو آخر بـ (سلمى).

قالها ثم صمت وهو ينظر بالأرض، بينما الثلاثة رجال ينصتون، يحملقون به وهو ما زال صامتًا فقال له وليد بفضول:

- هيَّا أكمل؟

- أو أن يكون الفاعل بعد أن انكشفت «الكاميرا» التي بالمدخل ولم يكن بحسبانه ذلك، وهو على حقٍّ تمامًا لأنها حتى حينما تم الكشف عنها كان عن طريق الصدفة، وكان ذلك عن طريق سلمى، وهي أيضًا نفس الشخص الذي رأى الرجلين الملثمين حتى ولو كان ذلك من وحي خيالها، فأراد أن يضيق الدائرة عليها فترك «الكاميرا» الموجودة بشقتها ونزع الباقي.

فقال المقدِّم (مصطفى) سائلًا:

- إذًا أنت تقول بأن من المحتمل أن تكون (سلمى) لها يد بما يحدث؟

- فقال ديهوم سريعًا:

- لا.. لا أقصد ذلك هي في الحالتين مفعولٌ بها، مرة إن كان الفاعل يريد أن يتعقبها لسببٍ ما وربما كان زوجها المتوفي بسبب غيرته المفرطة التي تحدَّثت عنها، ومرة أخرى إن كان الفاعل مجهولًا فأراد أن يوقعها بشباك الاشتباه.

عاد الجميع مرة أخرى للصمت يفكرون بما قاله (ديهوم) وبدا لهم بأنه تفسير مقنع يؤدي بالنهاية إلى أن هناك حقيقة مادية مجهولة وفاعلًا ما زال مستترًا خلف الجدار، وبعد دقائق أخرى نطق (ديهوم) سائلًا عن حال (سلمى) فأخبره المقدم بأنها حينما استفاقت، دخلت عليها إحدى الممرضات وجدتها تجلس أسفل السرير وقد قامت بفك الخراطيم الطبية التي كانت مُوصَّلة بين يدها والمحلول الطبي، وقامت بربط كاحليها ورسغيها، وحينما سألتها الممرضة، لماذا فعلت بنفسها ذلك؟ أجابتها «لست أنا بل هو» وظلت تشير إلى الحائط ولم يجدوا أحدًا غيرها بالغرفة وأكَّد جميع من يعمل بالطابق أنه لم يدخل الحجرة أحدٌ أو خرج منها منذ وصولها، وهنا اتسعت عينا (ديهوم) وكأن فكرة لمعت بذهنه فقال بنبرة حماس:

- أتتذكرون الرجل الذي تم استدعاؤه في حادث الجبل؟ على ما أظن يطلقون عليه...

- الدرويش!

- بالفعل يا (سامر) أنت كنت معنا حينما جاء وحل لغز الحفرة التي بالجبل، كلما مرت بجوارها سيارة تنقلب ويموت كل من يركب بها وحينها ظلّ يردد كلامًا غير مفهوم وهو يمرر حبات سبحته ثم تواصل مع روح شخص مقتول ووجدنا فيما بعد جثته مدفونة بالقرب من الحفرة، وحينما توصلنا لقاتله انتهت سلسلة الحوادث هناك.

وهنا تدخَّل (وليد) ساخرًا مما قاله زميله، ونظر للسيد (مصطفى) الذي لم يبدُ عليه أي اعتراض على ما اقترحه (ديهوم) وقال:

- والآن سنأتي بالدرويش ليخرج لنا العفاريت.

ردَّ (سامر) غاضبًا:

- أريد أن أسمع تفسيرك لما حدث لنا اليوم، ألم تتفق معي من قبل حينما قلت بأنه استحواذ شيطاني، ما الذي جدَّ؟

وهنا تجعد حاجب (وليد) واكتفى بالصمت ثم انتهى النقاش على أنهم سيذهبون غدًا للعمارة ومعهم الدرويش الذي تواصلوا معه وتم الاتفاق على زيارة الغد، ثم خرجوا من الغرفة فلحق (ديهوم) بـ (سامر) وسأله، لماذا أخبر السيد (مصطفى) بأن ابنه بخير، فاستغرب الآخر من أين عرف العكس؟ فأخبره أنه علمَ من زوجته حينما هاتفها وهنا حكى له (سامر) عن توبيخ الرئيس له وحرمانه من الترقية التي كان بانتظار المكافأة المالية التي ستأتي معها حتى يتاح له إجراء العملية، وهنا عرضَ عليه (ديهوم) المساعدة فأخبره أنها عملية دقيقة بالقلب وتحتاج مبلغًا كبيرًا جدًّا، ولذلك قام ببيع سيارته وبالمال الذي أتت به بالكاد يكفي العلاج الذي يأخذه، بالرغم من أن التأمين العلاجي يغطي جزءًا كبيرًا منه، فربَّت زميله على كتفه وهو يقول:

- لا تقلق، سنجد لها حلًا.. أريد أن أسألك عن شيءٍ آخر!

وهنا اقترب منهما (وليد) وقاطعهما بلهجة ساخرة:

- هل قام الدرويش بعمل حجاب محبة لكما؟!

فهمهم (ديهوم) باستخفاف:

- غدًا سنطلب منه عمل واحدٍ لك أيضًا.

حينها اقترب منهم المقدم (مصطفى) بخطى سريعة وقال قاصدًا (ديهوم) :

- الفتاة غادرت المستشفى وعادت للعمارة وتريد أن تراك لتخبرك أمرًا مهمًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٧)

«ما دام عقلك لم يقتنع، لا تصدق الألسنة»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تركهم ديهوم متجهًا إلى «عمارة الشيخة زُهرة» قاصدًا شقة (سلمى). ظلَّ يطرق بابها حتى خرجت السيدة (نادية) من شقتها في الطابق الأعلى ونادت عليه حتى يأتي لتقرأ له التاروت، وقبل أن يجيبها سمع همس (سلمى) من خلف الباب وهي تقول:

- حينما يذهب سأفتح لك الباب.. ارحل الآن.

فتركها صاعدًا الدرج وهو يتلفَّت حوله وينظر لأعلى عند طابق الساكن (سعيد) حتى وصل لشقة السيدة (نادية) التي رحبت به واستقبلته بابتسامة مرحِّبة وعرضت عليه أن يحتسي معها فنجان قهوة بينما تقرأ له الطالع فوافق ليقضي الوقت إلى أن تفتح له (سلمى)، قامت السيدة بتحضير القهوة ووضعتها على الطاولة وأشعلت شمعة داخل كوب زجاجي، ثم أمسكت بأوراق التاروت وقامت بوضع ثلاثة كروت مقلوبة وتركت الباقي جانبًا، وهنا وقعت عينا (ديهوم) على مجموعة من علب الأدوية بجوارها فسألها:

- عذرًا لتطفُّلي، لماذا كل هذا الدواء؟

- هذه مهدئات حتى تساعدني على النوم ليلاً، والاسترخاء نهارًا، منذ وفاة زوجي قد عانيت حينها جدًّا وساءت حالتي النفسية فأعطاني الطبيب إياهم.

- هل زوجك مات منتحرًا أيضًا.

- لا.. لا زوجي كان مريضًا، يعاني من سرطان الكبد حتى رحل، وكان هذا قبل وفاة «الشيخة زُهرة».

- أنتِ تعرفينها جيدًا؟

- ليس جيدًا، ولكنها كانت سيدة في غاية الطيبة والإيمان ولكن ساءت حالتها وتبدَّلت بعد موت ابنها.

- يقولون إن شكل جثتها كان بشعًا.

- بالفعل كان بشعًا جدًّا جدًّا، منظر تقشعر له الأبدان، أتدري؟ أنا أول من رأى جثتها، حينما عدت من عند الطبيب وبالكاد كنت أتعافى وتتحسن نفسيتي، وبعد أن رأيت منظرها غير الآدمي وجسدَها الممزق في مدخل العمارة سقطت مغشيًا عليَّ بجوارها حتى تجمَّع غفيرٌ من الناس وكانوا يهابون أن يقتربوا مني إلى أن استعدت وعيي وطلبت منهم المساعدة؛ فتشجعوا واقتربوا ومن حينها لم يعد حال العمارة كما كان.

- مَن في اعتقادك له مصلحة أن يقتل ابنها ويفعل بها ذلك؟

اعتدل في جلسته حينما قالت إنها ستخبره بما تعرفه عن (زَهرة) وأبيها وابنها، ما جذب انتباهه هو اسم الأب لم يذكره أحدٌ من قبل، فأكملت السيدة أنهم كانوا عائلة غاية في الاحترام واللطف مع الجميع، والدها كان من الصالحين، وفي أوقات معينة من السنة، كان مجموعة من الأشخاص يأتون ليتباركوا به ويقرأ لهم القرآن، فكان له صوت عذب يلعلع في الأرجاء ويرحل الناس من عنده مهللين إلى أن أتى عامٌ تبدَّل فيه الحال ولم يستقبل فيه أحدًا، وفجأة تغيرت حالته الصحية دون مقدمات ومرض مرضًا شديدًا لكن لم يعرف أحدٌ ما أصابه، شلت حركته تمامًا بالكاد يتكلم، ومن وقتها ظهر نجم ابنته (زُهرة) أصبحت هي من تستقبل الزوار كل عام وكأنها استلمت راية المباركة منه، ومنها داومت على فعل الخير ودومًا كانت ترتدي عباءتها البيضاء الفضفاضة وتسدل ضفيرتيها وتضع شالًا حريريًا على رأسها ليستر شعرها وهكذا، حتى لقبها الجميع بـ (الشيخة زُهرة)، قاطعها (ديهوم) قائلًا:

- عباءتها لونها أسود وليس أبيض.

- هل رأيتها؟

- نعم، في شقة سعيد.

بدا الحزن على وجه السيدة وهي تقول بنبرة يأس:

- عدم رؤيتي لها حتى الآن مثل الجميع سيتسبب لي في سكتة دماغية.

فأجابها باستغراب:

- ولكن كنت أظن العكس، رؤيتها هي من تسبب..

- ليس صحيحًا، الانتظار والجهل بالحقائق قاتل، يجعل الخوف يتملك روحك وعقلك وقلبك حتى تنهار من تلقاء نفسك.

- اسمحي لي، بما أنك تعتقدين في السحر والتنجيم وهذه الأمور الغيبية، لماذا لم تحاولي أن تخرجيها من هنا أو تأتي بأحدٍ لهِ عِلمٌ بتلك الأمور وأظن بأنك تعرفين أحدهم بحكم ما تعملين به؟

- لقد حاولت كثيرا، وحينما أتى أحدهم حذَّرني بأن لا أفعل ذلك مرة أخرى، ولم يقل سببًا غير أنه شعر بقوة كبيرة مليئة بالشر.

- أين كان زوج (زُهرة) من بين كل هذه الأحداث؟

قامت السيدة بفتح علب الدواء، وظلَّت تتناول واحدة تلو الأخرى، ثم أخبرته بأن زوج (زهرة) مرَّ مثل الطيف لم يتعدَّ وجوده معها أيامًا بعد إتمام الزواج، كانت تستيقظ ليلًا تصرخ وتركض في الشقة دون سبب، ولكن أظن أن جِدها كان يعلم، كل مرة أذهب على صراخها في النهاية يضع يده على رأسها ويتمتم بآيات وأدعية، وبعدها تهدأ وتتحسن؛ فلم يتحمل زوجها هذا الحال وتركها ورحل ولم يعد من حينها وتوقفت تلك الحالة التي أصابتها بعد زواجها، وأظنها حتى لم تخبره أنها حبلى وحياتها

تمحورت على ابنها وتربيته، الذي لم يكن له ناقة ولا جمل في شيء كانت تتبعه أينما ذهب لذلك حينما تأذى ومات لم تسامح حتى نفسها وشيطانها غلبها، فقال (ديهوم) مستفسرًا:

- تقصدين بأن أصابها مس شيطاني؟

- مس شيطاني، أصابها بالجنون.. هي وجِدها من البداية كانا مريبين، عيونهما غامضة.

- هل...

وهنا قاطعته السيدة بلطف:

- دعنا نرى ماذا تحمل لك أوراق التاروت.

لا يفهم (ديهوم) في هذه الأوراق، ولا يصدق بها ومع ذلك سمع باهتمام ما تخبره به عن البطاقة الأولى وهي تقول، إنها للرجل المُعلّق وتعني أنك تحتاج للتوقف المؤقت، وأن تنتبه للعلامات حتى تكون قادرًا على الرؤية السليمة، ثم وضعتها على الطاولة وأخذت البطاقة الثانية وقلبتها، وبعد الإمعان بها نظرت له بثبات وقالت:

- بطاقة الموت!

فضحك قائلًا غير عابئ بما قالت:

- أخيرًا سأموت.

- ليس بالضرورة أن يأتي الموت لك، ممكن لأخذ قريب منك.

ثم أمسكت بالبطاقة الأولى ووضعتهما متلاصقتين وقالت بصوت هادئ:

- حينما يأتي الرجل المُعلَّق مع كارت الموت يعني أنك تحتاج ترك الماضي خلفك، أنت تعاني من الألم عاطفيًا وجسديًا لذا يجب أن تدع الماضي يرحل في سلام حتى تُمهِّد الطريق لمرحلة جديدة.

شعر (ديهوم) بتوتر مما قالته وكأنها تراه من الداخل فأمسك بكوب الماء وأنهاه على مرة واحدة، ثم وقف بينما هي قامت بقلب الورقة الأخيرة ومعها ابتسم فمها على مصراعيه وهي توجهها له:

- ألم أقل لك إنك مقبل على بداية جديدة، هذه بطاقة العشاق، وهذا يعني أنك ستقابل الحب الحقيقي.

نظر لها مع ابتسامة وقال:

- لماذا لم تغادري هذه العمارة حتى الآن؟

فبادلته نفس النظرة وأردفت:

- لن أرحل دون أن أراها.. لن أستطيع تمضية المتبقي من العمر في خوفٍ من مجهول.

وهنا شكرها بارتباك على القهوة واستأذن وتقدَّم الخطى وهو يشعر بعدم ارتياح لما سمعه من السيدة وتساءل، «كيف لها أن تعرف عن ماضيه والألم الذي يحمله بداخله» ثم أسكت عقله بأنه ربما كلامها

كله على وتيرة واحدة تخبره للجميع ولا تقصده هو بعينه وتشابهت مع قصته عن طريق الصدفة، ظل يحدِّث نفسه حتى وصل مرة أخرى أمام شقة (سلمى) التي قامت بفتح الباب دون أن يطرقه وأذنت له بالدخول ثم أغلقته، حينما دخل لاحظ الرباط الطبي حول رسغها فسألها عن حالها فأخبرته أنها تشعر بتحسن، وكانت تتحدث وهي أكثر اتزانًا وهدوءًا عن المرة الماضية، ثم عرضت عليه أن تأتي له بكوب شاي ساخن أو فنجان قهوة لتعبِّر له عن مدى امتنانها لما فعله معها وإنقاذ حياتها، ولكنه شكرها هي أصرت أن تقدِّم له شيئًا فاكتفى بكوب ماء لربما يهدئ من توتره المبالغ فيه الذي لا يعرف سببًا له، وبعد أن شربه وجلس، قالت له وهي تنظر في عينيه:

- كان هنا منذ قليل ثم رحل.

- مَن؟

- زوجي.

- المتوفي؟!

- جسده رحل، ولكن روحه موجودة معها.

- تقصدين «الشيخة زُهرة»؟

وهنا تبدَّل حالها في لحظات ونظرت إليه بعينين دامعتين ويدٍ مرتعشة وقالت ببكاء:

- هي لا ترحل أبدًا، ولن ترحل إلا بعد أن تأخذ روحي معها.

وهنا خُيِّلَ لـ (ديهوم) ظلٌّ يقف على باب الغرفة التي يقع بابها خلف (سلمى) فنظر بتمعن فوجدها تقف مبتسمة له تمد يدها وتشير إليه بأن يقترب منها فاتسعت عيناه وسقط فكه ونهض واقفًا وهو يقول:

- ما هذا! إنها هي!!

- «الشيخة زُهرة» هل رأيتها؟

- لا إنها زوجتي! ها هي تقف هناك.

فاستدارت (سلمى) بحذر، ولكنها لم تجد أحدًا فسألته:

- هل أتت معك إلى هنا؟

- لقد توفيت من عدة سنوات.

حينما سمعت ما قال أسرعت بقربه، وأمسكت يديه، وقالت بفزع وأسنان مصطكة وجسد مرتعش:

- أرجوك لا تنظر لها وابقَ معي.. هذه ليست زوجتك لا تدعها تستعطفك حتى تأخذك معها.

اختفت زوجته، ونظر إلى (سلمى) التي كانت تبكي بحرقة وتنتفض من الخوف، وربَّت على كتفها وهمس:

- أنا بخير لا تقلقي.. هذه مجرد تخيلات في ذهني لأني كنت أفكر فيها منذ أمس.

ثم ظهرت مرة أخرى في آخر ردهة الصالة، وهذه المرة كانت الدماء تتساقط من بين فخذيها وهي تحمل مولودًا بين يديها فباعدت بينهما وسقط الطفل أرضًا ومعها انتفض جسد (ياسر) وعاد خطوة إلى الوراء وهو يصيح «لا»، ومعها اختفت مرة أخرى، فنظر إلى (سلمى) وهو يحاول أن يضبط أنفاسه ليتمالك أعصابه وسألها:

- ما الشيء الذي كنت تريدين أن تخبريني إياه؟

- ما الذي حدث معك الآن؟!

- لا أدري.. حينما أدخل هذه العمارة الملعونة أشعر وكأنني في عالمٍ موازٍ لا علاقة له بالواقع!

- أردت أن أحذرك منها.. ستحاول أن تتخلص منك لأنك أنقذتني منها بعد أن تمكنت من الاستحواذ على عقلي.

قال في حنقٍ وهو يفرك مقدمة رأسه:

- ما زلت لا أستوعب أنني أواجه شبحًا!

- لن أتركها تؤذيك، لولاك لكان طفلي الآن يتيم الأم والأب.. تعالَ معي سأريك شيئًا.

فأمسكت بيده التي كانت باردة كقطعة ثلج واتجهت إلى غرفتها، ثم قامت بإزاحة ملاءة السرير ورفعت الفراش الإسفنجي، فظهرت خلفه بقع سوداء متقاربة مثل الضباب تشكل جسد إنسان فسألها:

- مَن فعل ذلك؟

- لم يفعله أحدٌ، ظهرت البقع بعد رحيل زوجي، أظنّ روحه مخبأة هنا يخرج ويعود لها.

لم تعد لديه قدرة على التماسُك أكثر من ذلك، وخاصة أنه يتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن طيف زوجته، فتحسَّس سترته حتى عثر على علبة السجائر وأخذ واحدة ووضعها بين شفتيه المرتجفتين وأمسك القداحة محاولًا أن يشعلها، ولكنَّ إبهامه لم يستطع فعلها فانفلتت منه، فاقتربت (سلمى) وأشعلتها ومالت بيدها نحوه فأخذ نفسًا عميقًا حتى دخل النيكوتين إلى رئتيه ولم يشعر بنفسه إلا وهو ينفث الدخان في وجه الفتاة، فاعتذر منها وأخذ الولاعة واستأذن منها أن يغادر ووعدها بأنه سيكون متواجدًا بالعمارة في الصباح الباكر، وربما مَن سيأتي معه يصل لتفسير ما يحدث ونُنهي هذا الكابوس.

تركها ونزل إلى مدخل العمارة، وظل يدور به في حركة دائرية وعيناه تتنقلان في كل شبر منه حتى وقعت عيناه على مساحة أسفل السلم شديدة الظلام، فاقترب منها ودقّق النظر حتى رأى بابًا. حاول أن يفتحه ولكنه كان مغلقًا بإحكام فقام بالاتصال بحارس العقار الذي أتاه على الفور. لم يستغرق خمس دقائق فهو كان بالخارج أمام العمارة المجاورة، فدخل متجهًا إلى أسفل السلم واقترب من الضابط الذي لم يشعر بخطواته فانتفض فقال الحارس ضاحكًا:

- لا تقلق هذا أنا، (عمار).

- كل شيء هنا يدعو للقلق، هيَّا أخبرني إلى أين يؤدي هذا الباب؟

- غرفة صغيرة كانت مخصصة للمعيشة لحارس العقار، وقد أتى الكثير ورحلوا خوفًا، ومن حينها وهي مغلقة، أحيانًا يدخُلها عمال السباكة إذا حدث انسداد في المواسير.

ثم صمت ومط شفتيه وهو يركز سمعه ناحية باب العمارة ثم قال:

- ها هو المفتاح إذا أردت الدخول.. واسمح لي أن أرحل لأحضر بعض المشتريات وإن احتجت لي في أي وقت أنا موجود بجوارك.

ثم أمسك طرف الجلباب الذي يرتديه بطرف أسنانه، وأسرع الخُطى للخارج وترك (ديهوم) ممسكًا بالمفتاح وهو ينظر للباب ولا يعلم ما يخشاه من فتحه أو ربما اكتفى مما رآه اليوم، ظلَّ مترددًا حتى رنَّ هاتفه فانتفض معه ثانية فأخرجه ليجد المتصل (سامر) فأجابه بسرعة:

- أهلًا سامر أين أنت؟

فردَّ زميله متعجبًا:

- لماذا تتكلم معي هكذا؟ وكأنني حبيبتك وكنت تنتظر مكالمتها؟

- لا مجال للسخرية فأنا في حالة يُرثَى لها.

- لهذا اتصلت لأطمئن عليك لأنني أعلم أنك في تلك العمارة المشؤومة، ولسببٍ آخر!

- أنا لست بخير، ولكن لا أريد التحدث الآن فيما يحدث معي.. ما هو السبب الآخر؟

صمت (سامر) لحظات ثم أجابه بصوت خفيض:

- هل عانيت جديًا ما وعدتني به اليوم؟

- ما هو! عن ماذا تتحدث؟

- ما هو؟ لا شيء.

- انتظر.. اعذرني أنت لا تعلم ما مررت به من دقائق.

- حينما قلت إننا سنجد حلًّا لتكاليف العملية الجراحية.

وهنا تنفس (ديهوم) الصعداء وأجابه:

- نعم، وهل هذا مجال للمزاح؟ لا تقلق، الآن اذهب واحتضن زوجتك وابنك ونتقابل في الصباح ولا تتأخر على الدرويش، مواعيده دقيقة، أظن أنني سآتي إلى هنا مباشرة ولن أمر على مبنى المباحث.

- لا تقلق في العاشرة تمامًا سأكون بانتظاره ونتحرك أنا وهو ووليد...

ثم أنهى المكالمة، وعاد إلى المفتاح، ولكن بدون تردّد وكأن كلام زميله أعطاه بعضًا من الحماس، فقام بإدخال المفتاح في القفل وأداره مرةً تلو الأخرى إلى أن انفتح فوجد المكان قاتمًا، فقام بإشعال كشاف الهاتف ليرى ما بالداخل، ثم تقدم خطوة والثانية وهنا تسمر مكانه وكتم أنفاسه وسقط الهاتف من يده، ولكن ما زال يضيء تفاصيل الغرفة وخاصة الحائط الشرقي الذي رأى فيه (ديهوم) زوجته تجلس أرضًا وتبكي بحرقة بتعابير وجه مريرة، ولكنه لا يسمع صوتها وكأن هناك حجابًا بين صوتها وبينه، وكانت عارية تمامًا مثلما رآها آخر مرة، جثة ملقاة في الشارع وما تزال تنزف وجسدها ملطخ ثم تجمدت ملامحها فجأة، وحركت رأسها وهي تنظر إلى بقعة قريبة منها فاستدار بنظره معها حتى وقعت عيناه على جنين صغير بجسد متكامل اليدين والقدمين والرأس، حجمه كليًّا مثل كف اليد مغطى بالدماء، ظلّت الدماء تسيل منه ومن زوجته حتى اتسعت بقعتها وسالت حتى كادت أن تقترب من قدم (ديهوم) الذي عاد إلى الخلف فزعًا مما يراه أمامه ففر خوفًا، وهنا وقع منه هاتفه دون أن يدري ولا حتى سمع صوت ارتطامه بالأرض من الخوف، ثم رحل وتركه وأغلق الباب تاركًا المفتاح به، ومشى بخُطى وئيدةٍ وأنفاس متلاحقة فكاد قلبه أن يقف معها ونشع العرق في كل أجزاء جسده رغم الطقس البارد، وظلَّ ينظر إلى قدمه ليتأكد بأن الدماء لم تطُله وظل ينوح من البكاء حتى وصل إلى سيارته وأدارها واتجه إلى أقرب محل لبيع الخمور، وسأل على نوع بعينه ولكنه قد نفد فقام بفتح الثلاجة وظلَّ يأخذ زجاجات من أنواع مختلفة ووضعهم بكيس ودفع الحساب ثم رحلَ بسيارته وعاد إلى نفس المكان أمام «عمارة الشيخة زُهرة».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٨)

«التفكير المفرط، كالمرض المزمن، لن يتركك إلا بالموت أو بقتل أحدهم»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الليلة كما قال خبراء الطقس ستكون ممطرة باردة، خلت الشوارع من البشر والكلاب والقطط كلٌّ منهم وجد له مأوى يحتمي فيه من الصقيع ولم يتبقَّ إلا صفير الرياح المضطربة، الهدوء يعم العمارة على غير العادة في هذا الوقت من الليل، كلٌّ من ساكنيها يغلق بابه، (سلمى) تنام على فراشها تبكي وتكتم صوتَ نواحها بالوسادة التي تحتضنها وهي تنظر إلى أحد أركان الغرفة، السيدة (نادية) أيضًا في فراشها ارتدت أثقل مناماتها مطعمة بقطع الفرو وعلى رأسها طاقية من الصوف وجوربًا مثله وتلحفت لأخمص قدميها وها هي غارقة في حُلم ترى به نفسها تقف على المنصة وتكرَّم لأن قناتها لقراءة التاروت على «اليوتيوب» تخطت ملايين المشاهدات، ينام (سعيد) بحوض الاستحمام بعدما تنقل في كل أرجاء الشقة ولم يستطع النوم إلا به، وأخيرًا غفا (علاء) وزوجته على الأريكة وهم جالسون أمام التلفاز بينما الفتاتان دخلتا إلى غرفتهما على غير العادة فقط في الأوقات التي تكون فيها العمارة وسكانها في سكون وهذا لا يحدث إلا قليلًا، ثم استلقيتا تحت اللحاف على سرير واحد وكلٌّ منهما ممسكة بهاتفها تتنقل بين محادثات الأصدقاء وتصفح مواقع التواصل الاجتماعي.

يجلس (ديهوم) في سيارته، حيث استقرت أسفل العمارة، وقام بغلق نوافذها جيدًا وما زالت تتسرب تيارات الهواء من جوانبها ومع ذلك لم يشعر بالبرد، لقد نجحت عدة زجاجات من البيرة التي شربها في العمل على استرخاء جسده بينما عينه تنظر بين الحين والآخر على مدخل العمارة وكأنه ينتظر ظهور زوجته بها وهذا بالفعل ما حدث، ولكن هذه المرة حينما اعتدل ليأخذ زجاجة أخرى وجدها تجلس بجواره ولم تكن هناك دماء هذه المرة بل ابتسامة وهي تقول له:

- أفتقدك كثيرًا!

ودون أن يشعر ولا يفكر بما يحدث معه أجابها:

- وأنا أيضًا أفتقدك كثيرًا!

- ولكنك وجدت البديل.

- لا.. لم ولن يحدث.

- أنت معجب بالفتاة؟!

- لقد ساعدتها لأني رأيتك بها.

- أنت أعجبت بها منذ أن وقعت عيناك عليها.

وهنا تبدلت الابتسامة بدموع وتوسُّل:

- أنت السبب فيما حدث لي أنا وابنك.. أريدك أن تأتي معي.

- كيف؟

- يجب أن تتخلص من حياتك البائسة وحينها ستنضم لي أنا وابنك، إن كنت تريد أن تراه فابحث عن طريقة لتنهي الألم الذي تشعر به وحينها سنبقى سويًّا.

- سأفعل.. ولكن أولًا يجب أن أساعد (سامر)، ابنه مريض وأنا وعدته.

- أنت تركت ابنك يموت، والآن تساعد طفلًا غريبًا.. يجب أن تأتي معي، طفلك يريد أن يراك.

ثم سكتت ونظرت إلى الدرج الموجود أمامها في مقدمة السيارة فمدَّ يده وضغط على زرار فرأى مسدسه، فمال لأخذه وهنا اختفت وتركته ينظر للمسدس يراود نفسه عن الانتحار، ولكن جفونه غلبته فوضعه على الكرسي المجاور له وانسابت ووقعت الزجاجة التي بيده الأخرى وغاص في نومٍ عميقٍ.

مضى الليل بغيامته وأمطاره وأتى الصباح المشمس، الساعة تخطت العاشرة ووصل (سامر) و(وليد) ومعهما الدرويش، هيئته لا صلة لها باسمه، يرتدي بدلة لونها أزرق وحذاء أسود وفي كلٍ من الإصبعين السبابة والوسطى في اليد اليمنى واليسرى بهما خاتم فضي على رأسه حجر أسود مموَّه، ويلتف على معصمه الأيمن عدة سبح بألوان مختلفة وهناك واحدة يدور إبهامه على حباتها وهو يسبح؛ لم ينطق بكلمة منذ وصوله عند مبنى المباحث إلى أن وصل إلى العمارة، شعر (وليد) بالملل فقال متأففًا:

- إنه لم يصل حتى الآن.

توقفت همهمة التسبيح وقال مشيرًا بإصبعه إلى الجانب الآخر من الشارع:

- إنه نائم.

فنظر له (سامر) باستغراب ثم ترجَّل وتقدَّم خطاه إلى سيارة (ديهوم) الذي كان يشبه الموتى فاتحًا فاه على مصراعيه، ملابسه مبعثرة وزجاجات البيرة الفارغة تحيطه، فحاول الضابط أن يفتح الباب من الخارج، ولكنه كان موصدًا من الداخل، ظلَّ يخبط على الزجاج حتى تمكن من إيقاظه وظل يفرك عينيه حتى تمكن من فتحها وقام بإنزال زجاج النافذة وهو يقول:

- ماذا تريد؟

فصاح زميله في وجهه بغضب:

- هل قمت بفتح باب الحمَّام عليك واقتحمت خصوصيتك.. أنت نائم في الشارع يا (ديهوم) و(وليد) على الناحية الأخرى ومعه (الدرويش).

فأمسك (ديهوم) رأسه وهو ينظر إلى الجانب الآخر وحينما رأى (الدرويش) تذكَّر بأنه على ميعاد معه وظلَّ لحظات يحاول تذكُّر ما حدث معه أمس وخاصة منذ أن ترك الفتاة ورحل ولم يمهله (سامر) الوقت لذلك وهو يردد دون توقف:

- قم بإخفاء هذه الزجاجات فورًا.. فورًا.. فورًا.

فتح الباب ونزل مسرعًا، يحرك قدميه ويتلوى وهو يقف بمكانه فنظر له الآخر باستنكار فأجابه دون أن يسمع السؤال:

- أريد أن أتبول، مثانتي ستنفجر.

- كيف صمدت طوال الليل مع كل هذه الزجاجات وهذا البرد القارس؟

- مثانتي حديدية مثل صاحبها وكفاك ثرثرة، دقيقة أخرى وسيراني (وليد) وأنا أتبول في سروالي وستكون الفضيحة بألف.

- تعالَ هنا في هذا الجانب بجوار السيارة وأفرغها.

- اصمت أيها المتسول، أمهلني عشر دقائق سأذهب إلى تلك القهوة عند أول الشارع ولن أتأخر، وإلى أن أعود حاول أن تشغل (الدرويش) وتقص عليه كلَّ ما له علاقة بالعمارة و «الشيخة زُهرة».

لوح للرجلين من الجهة الأخرى مع ابتسامة ترحيب ثم ركب السيارة وانطلق وعاد (سامر) إليهما وقام بقص كل ما يتعلق بالعمارة، وكان (الدرويش) يسمع فقط ولم يعلِّق حتى عاد (ديهوم) وترجل من السيارة وألقى السلام عليهم فنظر إليه الرجل وقال:

- على ما يبدو أنك شاهدت ليلة عصيبة أمس.

وهنا أطلق (ديهوم) سعالًا هزَّ رئتيه وهو يرد على (الدرويش):

- أريدك أن تستخدم مهاراتك في معرفة الأرواح والشياطين لتعرف ما يحدث بهذه العمارة الملعونة وليس معي.

فضحكا ثم تقدَّم (سامر) ومعه الضيف، وقبل أن يتحرك (ديهوم) اقترب منه (وليد) لدرجة أنه استطاع أن يشم نفسه العابق بالنيكوتين والكحول فتبع ذلك تنهيدة وهو يمط شفتيه ويقول ساخرًا:

- لا أحدً يختار عائلته.. ولا شركاء العمل.

جز الضابط على أسنانه وابتسم غيظًا وهو يقول:

- صباحك جميل!

ثم تركه وتقدَّم صاعدًا خلف الرجلين فتوقف الجميع أمام شقة (سلمى) وهنا قال (ديهوم):

- يوجد هنا شيء مُهِمٌّ يجب أن تراه.

ثم ظلَّ يرن الجرس ويقرع الباب حتى سمعته (سلمى) التي كانت تأخذ حمَّامًا ساخنًا وخرجت والمنشفة على جسدها، ثم وقفت خلف الباب ومالت برأسها مختبئة خلفه وفتحت ووجدت (ديهوم) في وجهها وخلفه رجال فاعتذر منها عن التطفل باكرًا ثم استأذنها بالدخول حتى يرى (الدرويش) الظِلّ الموجود أسفل الفراش، فاعتذرت باسمة ثم دخلت وارتدت ملابسها وفتحت لهم الباب فدخلوا بينما

تردّد (سامر) وحاول الوقوف خارجًا يتفحص هاتفه ولكن حينما دخل الجميع وظل بمفرده شعر أيضًا بالخوف فتبعهم للداخل، يقف (الدرويش) صامتًا يداه واحدة فوق الأخرى ترتكزان عند الخصر وعيناه تدوران بالمكان وأذناه تركزان في كل حرف تنطقه (سلمى) عما يحدث معها، إلى أن هم (ديهوم) برفع الفراش الإسفنجي ليريه الظل البشري الملطخ بالأسود ولكنه تفاجأ بأنه لم يعد له وجود فنظر إلى (سلمى) باستنكار وسألها بفضول:

- أين؟

- ربما رحل هنا أو هنا سيعود في أي لحظة.

- أنتِ لم تخبريني أن الظل يختفي ويظهر.

- لا، لقد فعلت وقلت لك بأنه يرحل ويعود ثانية، ولكنك كنت في حالة يُرثَى لها حينما رأيت زوجتك وبدأت في البكا...

ثم صمتت خجلًا لأن الجميع كان ينظر لها بتركيز وأولهم (ديهوم) الذي قال بارتباك:

- نعم.. نعم تذكرت لقد قمت بتصويرها بكاميرا الهاتف.

ثم ظلَّ يتحسس جيوب سترته ولم يجد الهاتف ثم قال:

- ربما نسيته في السيارة.

فقاطعته (سلمى) بصوت هادئ:

- لم تقُم بتصويره.. حينما رأيت زوجتك أخذت تبكي وتتحدث معها عن طفلٍ مات وطفل آخر مريض، وحينما سمعتك تواعدها بالرحيل معها ظللت أنفض جسدك حتى تعود لرشدك وتعرف بأنها ليست هي بل الملعونة «زُهرة» وهي من تريد أن تأخذك معها وحينما استفقت ساعدتك في إشعال سيجارتك ثم رحلت.

- ولكن هذا الحديث لم يحدث هنا!

قالها ثم مسك رأسه وظلَّ يضغط عليها من ألم الصداع فاقترب (سامر) منه وربَّت على كتفه وحاول تهدئته وهنا كان (الدرويش) ينظر له بطرف عينه ثم قال:

- دعونا نتفقد شقة أخرى.

توجهوا جميعًا صعودًا لشقة السيدة (نادية)، حيث كان الباب مفتوحًا وهي تجلس على الأريكة المقابلة له واستقبلتهم بابتسامة وهي تطلب منهم الدخول ويداها ملطختان بشيء أبيض شفاف، والطاولة المقابلة لها مكدسة بأدوات وأوانٍ، كانت الشقة تعبق برائحة الشمع فقالت لهم:

- رائحة الشمع بالبيت تحل بالبركة عليه وتطرد الشياطين.

قالتها وهي تنظر إلى (الدرويش) الذي بادلها الابتسامة وأومأ برأسه بالموافقة وقال وهو ينظر لعلبة غطاؤها لم يُحكم قفله:

- والزعفران الأحمر أيضًا.

والتقت عينا الاثنين في خبث وابتسما وهنا مال الضابط (وليد) على (ديهوم) وقال بهمس:

- عمارة بها مجموعة مجاذيب، وها نحن أتينا لهم بواحدٍ جديدٍ.

- ألم يُذكر الجن والشياطين في الكتب السماوية؟

- لا أنكر ذلك، ولكن نحن الآن في عصر التكنولوجيا يا (ديهوم) هذا كان يحدث قديمًا أيام الجهل والظلام إنما الآن لا... هناك شخص يفعل ذلك متعمدًا.

- ما الدافع؟! الانتقام منهم حتى يسترد حقوقًا من مساجين هذه العمارة اللعينة.

- لا أعلم، ولكنني لا أشعر بارتياح لهذه السيدة البدينة.

- إنها ليست بدينة.

فعاد (وليد) برأسه ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى (ديهوم) الذي كرَّر:

- نعم.. إنها ليست بدينة وتروق لي كثيرًا حينما تقرأ كروت الباروت.

فنظرت له السيدة وهي تردِّد:

- تاروووت.. تاروووت.

نظر لها وابتسم ابتسامة تجعدت معها عيناه، وكشفت عن أسنانه وهو يقول:

- أستميحك عذرًا.. هل لي أن أستخدم المرحاض؟

أومأت برأسها فهرول للحمَّام، وبينما هو يقضي حاجته شعر بخيالٍ يتحرك عند النافذة أعلى المرحاض فانقطعت ماؤه، وعدَّل ملابسه، وأنزل غطاء المرحاض وصعد عليه وفتح النافذة ومالَ برأسه منها ليطل على «المنور» الذي يصب في آخره على الغرفة التي كان بها أمس، وهنا بدأ يتذكر تدريجيًّا، وبينما هو يعافر لدخول كتفيه من النافذة، فجأة تحجرت مقلتاه وهو ينظر للأسفل وسرَتْ رعشةٌ بجسده معها ارتعدت أوصاله حينما رآها تقف في الأسفل، نفس المكان التي ظهرت به زوجته أمس وبجوارها هاتفه نفس الهيئة، ضفيرتان لونهما يميل للرمادي وترتدي عباءة سوداء فضفاضة ولا تتضح ملامح لوجهها مجرد كتلة ضبابية في وسطها فم صارخ، نشع العرق على جبينه وهو يحاول أن يحافظ على أنفاسه ودقات قلبه التي كادت أن تتوقف، لوهلة شعر أن روحه تخرج من جسده وفزع حينما رن هاتفه فجأة، فلم تتحمل قدماه الصدمة فانفلتت قدمه وانزلقت من على حافة المرحاض فحاول أن يمسك بطرف الستارة الموجودة على حوض الاستحمام فلم تسعفه وسقطت بالماسورة المعلَّقة بها، فارتج جسده وسقط سقطة مدوية وهي فوقه، سمعه كل من بالخارج وهرعوا إليه يطرقون الباب فأجابهم وهو يصيح:

- أنا بخير.. لا تقلقوا.

ثم تحسس رأسه مكانَ الألم وأمسك بيديه طرف المرحاض، وحاول أن ينهض ثم فتح الباب ووجد السيدة (نادية) أمامه أمسكت يده بلطف وهي تسأله:

- هل حدث لك مكروه؟

- أنا بخير.. وأعتذر عن هذه الفوضى التي قمت بها ولكني سأقوم...

فقاطعته:

- عمار يقوم بإصلاحها.

ثم اقتربت منه وحاولت الهمس بأذنه رغم فرق الطول:

- هي غاضبة منك.. يجب أن ترحلوا قبل أن يتأذى أحدكم.

وهنا نظر (ديهوم) إلى (الدرويش) الذي كان يقف خلف الضابطين وما زال ملتزمًا الصمت فقال له:

- أتريد أن تسأل عن شيء، أو تتفقد جزءًا هنا بالشقة قبل أن نغادر؟

فأوقف التسبيح وتحريك حبات مسبحته ولملمها بكفه وضغط عليها وهو يجيبه وينظر ناحية النافذة:

- لا لقد اكتفيت بما رأيته أنت!

وهنا تنهد (ديهوم) وشعر أن (الدرويش) على عِلم بما رآه فأعطاه هذا إحساسًا قليلًا بالطمأنينة، لأن الخوف كان قد بدأ بالفعل بنهش سلام قلبه، وحينما غادروا الشقة قال (سامر):

- تبقى شقتان، واحدة لرجل يدعى سعيد، والثانية لعائلة من أربع أفراد رجل وزوجته وفتاتين.. تريد أن تبدأ بمن فيهم؟

- ولا واحدً منهما، أريد أن ألقي نظرةً على الغرفة السُفلى في مدخل العمارة.

فنزل (سامر) و(ديهوم) بخُطى بطيئة وهما يتحدثان مع (الدرويش) عمَّا حدث في شقة (سعيد)، وتقدَّمهما (وليد) بخطوات سريعة فكان يريد رحيل (الدرويش) حتى يصعد إلى عائلة (علاء) وزوجته لربما يجد عندهم تفسيرًا لما يحدث، وحينما اقترب (وليد) من الباب أسفل السلم وجد الباب شِبهَ مفتوحٍ، والمفتاح مُلقى أرضًا أمام الباب، فقام بدفع الباب فوجدها أمامه ورآها رغم الضوء الشحيح تقف عند الجدار وتتبدل أبعاد جسدها الذي يطول ويستطيل ثم يتضاءل، ثم بدأ في الاقتراب منه فتضرج وجهه واضطربت أنفاسه وتجمدت أطرافه واصطكت أسنانه، حتى استطاع أن يشهق ويسترد بعض أنفاسه الهاربة، صرخ وعاد أدراجه حتى ارتطم جسده بشخص فأدار رأسه بسرعة البرق ليجد (الدرويش) خلفه ويستقبل فزعه بابتسامة مستفزة وهو يسأله:

- ما بك هل رأيت شبحًا؟ أظن أنك لا تؤمن بوجودهم!

- نعم.. هي نفس السيدة التي رأيتها في شقة سعيد.

فنظر له (ديهوم) وهو يردد بصوت مرتبك:

- لها ضفيرتان على كتفيها وترتدي عباءة فضفاضة....

- سوداء وليس لها معالم محددة بوجهها، مجرد فم يصرخ في صمت.

قالها (وليد) مكملًا ما بدأه زميله، فقال ثالثهما بصوت مرتعش:

- هل هذا شكل «الشيخة زُهرة»؟

وهنا صدح بالعمارة صوت يشبه انفجار مزق أرواحهم خوفًا كما تمضغ الضروس قطعة لحم شهية على بُطءٍ وتتلذذ بتمزيقها، فاقترب الأربعة من بعضهم وظلوا يلتفتون حولهم منتظرين أن يحدث شيء آخر أو صراخ من السكان، ولكن لم يتبعه غير الصمت، بلع (الدرويش) ريقه وقام بوضع المسبحة في جيب سترته ودفع الباب ودخل، ظلَّ يدقق نظره حتى رأى شيئًا يلمع بالأرض فاقترب ومالَ بجسده والتقطه فقال (ديهوم) وما زال الصوت يتردد في أذنه:

- إنه هاتفي.. أظنه وقع هنا بالأمس.

- ألم تقل إنك نسيته في السيارة؟

- لم أتذكر حينها إلا حينما رأيته من النافذة، وهي كانت هنا تقف بجواره.

- هل يمكنني رؤية صورة الظل الذي قلت إنك التقطها من على فراش الفتاة؟

فأخذ منه هاتفه الذي أوشكت بطاريته على النفاد، وظلَّ يقلب في الصور ولكنه لم يجدها حتى انطفأ الهاتف، لم يسأله (الدرويش) ثانيًا وتقدَّم بخطواتٍ هادئة في كل الأرجاء وكان صامتًا مع تعابير وجهه الثابتة التي لا تنم عن خير أو غيره، ثم وقف بالمنتصف تمامًا وأخرج المسبحة ولفها على رسغه وتنهد وهو يقول:

- هناك معلومات مباحة للجميع، وعلى ما أظن لقد عرفتموها؛ ولكن هناك أسرارًا لا يجب الإفصاح بها.

فأجابه (وليد) بعصبية:

- نحن بصدد سفاح وليس بقاتل عادي، وأنت تقول أسرارًا لا يجب الإفصاح عنها.

ثم جزَّ على أسنانه واقترب منه وجذبه بعنفٍ من ياقة قميصه وهو يحذِّره:

- إذا انتحر شخصٌ آخر بهذه العمارة الملعونة، حينها سأقوم بزجِّك في السجن.

فقام (الدرويش) باقتراب شفتيه من مسمع الضابط وهمس:

- لا داعي للعصبية، لأن الضحية التالية ستكون أنت!

فاقترب الضابطان محاولين تخليصه من يد (وليد) الذي دفعه بلكمة في كتفه أرجعته للخلف وقال:

- أنت دجَّال مدّعي المعرفة.

فتدخل (ديهوم) معتذرًا لـ (لدرويش) وقام بسؤاله عما يقصده بـ "الأسرار» فأجابه بابتسامة خبيثة:

- الأسرار لا تقال بل تكتشف.

- ولكنك جئت إلى هنا في الأساس حتى تخبرنا عما ستراه، وفي جميع الأحوال لا يستطيع أحدٌ منا أن يجبرك على الكلام فليس عليك ذنب تجاه شيء.

تقدَّم خطوة بعينين متوهجتين ونظرة لئيمة وأجابه:

- إبقاء بعض الأشياء مجهولة والتضحية بالقليل، أفضل بكثير من كشفها وإحداث فوضى لن يستطيع أحد الصمود أمامها.

قالها (الدرويش) ثم غادر مؤكدًا عليهم عدم التواصل معه مرة أخرى، فلا يوجد لديه شيء يساعدهم به، ثم خرج الضباط وأغلقوا الباب، فاستأذن (سامر) للرحيل مضطرًا لزيارة الطبيب للاطمئنان على حالة ابنه، ثم صعد (ديهوم) و(وليد) لسماع ما لدى العائلة المتبقية، وبينما هما على الدرج قال (وليد) بجدية تتخللها ريبة:

- أشعر أننا داخل دوامة لا نعرف لها مَخرجًا.

- الصبر.. الفاعل عادة يترك خلفه شيئًا.

- مَن تقصد بالفاعل؟ شبح السيدة المتشحة بالسواد!

- لا أعلم.. أيًّا كان من نواجهه! بشريًّا أو كيان لا نعلم ماهيته أو خليطًا من الاثنين، في النهاية يجب أن نصل إلى سره.

صمت لحظات ثم أكمل:

- ولكني متأكد أني رأيتها.

- وأنا أيضًا.

ثم أكملا الصعود حتى وصلا للطابق الذي يقطن به (سعيد) وأسرة (علاء)، وقبل أن يصلا لمقصدهما فتح (سعيد) الباب وكان ما زال مرتديًا نفس الملابس المهلهلة وعيناه متسعتان على غير الطبيعي، والرعشة تملكت يديه وهزة متكررة برأسه، ومع كل ذلك كان يبتسم وهو يقول:

- إنه يوم جميل!

فسأله وليد:

- هل هناك جديد؟

- نعم إنها تحدَّثت معي.

واستفسر وليد بابتسامة قائلًا:

- ذات الرداء الأسود؟

- لا... لا أقصدها.

فنظر له (وليد) عاقدًا حاجبيه فأجابه (سعيد):

- النبتة الجديدة لقد اكتمل نموها.. أتريد أن تراها؟

وظلَّ يشير لهما بيديه للدخول، ولكنهما اعتذرا ووعداه بالعودة له مرة أخرى، ثم تقدما وطرق (ديهوم) الباب وفتحت له الفتاة الكبرى (ميادة) كانت شاحبة، جسدها ضئيل جدًّا لا يتناسب مع عمر فتاة جامعية، السواد يكسو أعلى وأسفل عينيها، أنفاسها تتلاحق بصوت عالٍ كأنها توقفت عن الركض توًّا، وقبل أن تتكلم جاءت الفتاة الأخرى (ميار) ووقفت خلفها وهي تحملق بالضابطين وكل سمات أختها المضطربة تبدو عليها أيضًا، وبالرغم من أن هناك فارق سن بينهما، ولكن كأنك تقف أمام كيان واحد وانقسم إلى جزئين متماثلين في كل شيء النظرة، الأنفاس، الشفاه تميل للزرقة؛ مرت دقائق من الصمت ثم قال (وليد):

- هل الأستاذ علاء موجود؟ نريد أن...

ثم صمت حينما لاحظ خيال خلف (ميار) فدقق النظر به ليجده اثنين، وأربع عيون تحملق به، فهمس له (ديهوم):

- أظن أنه السيد علاء وزوجته.

- لماذا يقفان هكذا كالأشباح؟

فنظر له (ديهوم) مستنكرًا وهو يهمس:

- سؤال بمحله في هذه العمارة الملعونة.

ثم أكمل مبتسمًا وهو ينظر خلف الفتاتين:

- نريد أن نتحدث معكم قليلًا.

عادت العائلة بالكامل للخلف في صمتٍ ليفسحوا الطريق للضابطين إلى أن دخلا وجلسا متجاورين على أريكة، بينما جلس البقية حولهما على الكراسي وما زالوا يحملقون بهما فاقترب (ديهوم) من زميله وهمس:

- شكل هذه العائلة أكثر شيء مرعب رأيته منذ أن أتيت إلى هنا.

- يشبهون «الزومبي».

همت الزوجة بالوقوف فقال لها (وليد) متسرعًا:

- لا.. لا داعي للتعب، نحن لا نريد شُرب شيء، فقط سنطرح سؤالين ونرحل.

فتقدمت السيدة وهي تجيبه بصوتٍ صارمٍ:

- نحن لا نستقبل ضيوفًا من الأساس سأغلق هذه النافذة لأنها تُدخِل الكثيرَ من الضوء.

فعاد (وليد) لهمس زميله:

- ألم أقل لك إنهم «زومبي» لا يتحملون ضوء النهار، قريبًا سيحل الليل ويتحولون وتنضم لهم الشيخة الملعونة ويقضون علينا.

- سيتحولون أكثر من هذا؟!

شعر الضابطان أنهما تمادا في الهمس، وخجلا من السخرية عليهما بدلًا من التعاطف مع حالتهما البائسة، وقبل أن يعتذر (ديهوم) عن الهمس وجدَ لا مبالاة على الوجوه فصمتَ لحظاتٍ ثم تقدَّم بسؤال للسيد (علاء):

- نريد أن نسمع منك ماذا يحدث معكم؟

- لا.. لا نرى «الشيخة زُهرة» ولا الخيالات ولا نسمع أصواتًا غريبة غير صراخ الموجودين وآلامهم ونرى جثث المنتحرين.

- إذا كنتم لا ترون شيئًا ولا تسمعون، فاسمح لي...

فأجابت الزوجة بنبرة متعبة:

- نحن تقريبًا لا ننام، لا نأكل ولا نعرف ما يحدث خارج باب شقتنا.. الانتظار والخوف يجعل حالتنا تسوء أكثر من الآخرين.

- لماذا لم تغادروا العمارة وتسكنوا في مكان آخر؟

- لا أحدا يريد أن يشتري شقة مثل هذه ولا نملك المال لذلك، نحن نعيش على مساعدات قليلة من الأقارب، وأكثر من شخص حاول مساعدتنا، ولكن حين يرانا يشعر بالخوف منا ويرحل ولا يعود ثانية.

أخذ كلٌّ منهم بقص جزء من الأحداث الغريبة التي حدثت مع سكان العمارة وكلها تقريبًا متشابهة مع اختلاف التفاصيل، فالجميع يرى «الشيخة زُهرة» ويصفها بنفس الشكل، ولا أحد حتى الآن رأى عينيها والجميع يرى الأموات التي بحياته وتفاصيل أخرى تخص حياة كل شخص انتحر، وفي النهاية سألهم (وليد) عن المرة السابقة حينما كان يهرول هو و(ديهوم) كانت هناك جروح دامية على أجسادهم فأجابته (ميار) الصغرى:

- ماذا تريد من أشخاص لا تعرف جفونهم النوم، يأكل الخوف أجسادهم ويتنفسون رائحة الجثث من حولهم؛ ليلتها لم يتوقف صراخ (سلمى) لزوجها المتوفي وصوت أنين سعيد وهو يتحدث مع «زُهرة» فكان هذا نتيجته ما فعلناه بأنفسنا، أشياء تحدث لا إراديًا نتيجة الشعور بالخوف.

لم يستطع الضابطان الرد على كلمات الفتاة التي اعتصرت قلوبهم، ولكن (وليد) وعدهم بأن نهاية الألم اقتربت وأنهم يعملون بكل جهدٍ على ذلك، لم يبدوا عليهم أي ردة فعل لما قاله غير نظرات بائسة، بعدها رحل الضابطان كلٌ منهما يتحدث في هاتفه، (ديهوم) قام بالاتصال بـ (سامر) ليطمئن على ابنه ولكنه أخبره أنه ليس على ما يرام فحالته تسوء بسبب ضعفه وصغر سنه كما أن نسبة ضخ الدم إلى القلب أقل من المعدلات الطبيعية بكثير مما تسبَّب له في تشنجات، وقبل أن يهم بالرد عليه بأنه سيأتي الآن لرؤيته اقترب منه (وليد) وقال:

- المقدم (مصطفى) على الهاتف، ويقول إن رجل الأعمال (علي الطويل) لديه أمر مهم يريد إخبارنا به، وطلب زيارة بمكتبه بعد ساعة.

أجابه بإيماءة من رأسه تفيد بـ «نعم» وعاد لمكالمته مع (سامر) وحاول طمأنته وأن كل شيء سيكون بخير وربما يكون لدى رجل الأعمال ما يفيد في حل هذا اللغز وينتهي الكابوس وسيجد حلًا للحصول على المال في أسرع وقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٩)

«تتسلل الأوهام إلى عقلك، فتصبح كصديق السوء تألف معاشرته حتى يدمرك»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حتى الآن لا يعلم (وليد) أن الضابط (ياسر ديهوم) هو من اقترح على المقدم (مصطفى) اسمَ (وليد هاشم) حتى يقوم بضمه إلى فريق التحقيق، ليس في حادث بعينه، ولكنه أُعجب بطريقة عمله وإصراره في حل القضايا وعناده في إثبات نجاحه رغم صغر سنه؛ مع مرور الوقت أصبح الحديث بينهما مثمرًا، يتحدثان كثيرًا عن الخطوات القادمة لحل لغز «عمارة الشيخة زُهرة» بالرغم من أن ذلك عكس طبيعة (ديهوم) فهو لا يحب مشاركة ما هو مُقدمٌ عليه مع أحد حتى لو كان شريكًا بالعمل، ولهذا العلاقة بينه وبين (سامر) أكثر من أنهما فريق عمل فهو يعتبره صديق وخاصة أن (سامر) يحب كثيرًا دور التابع، ويحب أن يمشي على الطريق الذي يرسمه له (ديهوم) بينما يكون هو منشغل في خطوة أخرى، ولكن (وليد) مختلف تمامًا فهو صارم في عمله، يحب إثبات كفاءته وتميُّزه عن الآخرين، لذلك كان في البداية متحفزًا جدًّا تجاه (ديهوم) ولكنَّ كُلًّا منهما تصالحت مصالحه مع الآخر، لأن منذ البداية و(ديهوم) يواجِه مخاوفه ويراها أمامه أينما ذهبَ لحل لغز العمارة فكان لا بُدَّ من وجود أحدٍ معه يخاطبه بالعقل ليجعله متيقظًا قدر المستطاع، وهو نفس حال (وليد) حتى الآن لم يعثر على نقطة خروج واحدة ليتبعها لحل اللغز فكان لا بُدَّ من وجود شخص يثير غيرته بالعمل حتى لا يفقد حماسه، وهذا ما يفعله به (ديهوم) منذ اللقاء الأول وخاصة بعدما رأى المعاملة المميزة التي يمنحها له المقدِّم (مصطفى).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عرض (وليد) على زميله أن يذهبا بسيارته إلى مكتب رجل الأعمال (علي الطويل) فوافَقَ الآخر دون تفكير، وحينما ركبا وانطلقت السيارة، مرت دقائق عديدة في صمتٍ يحاول كلٌّ منهما تخيُّل ما سيقوله رجل الأعمال وإن كانت هناك أسئلة يطرحونها عليه ولكن لم يصلا لشيء، كلاهما يرى طيفَ «الشيخة زُهرة» يتجول في ذهنه، حتى خرج (ديهوم) من شرنقته وقال:

- يجب علينا أن نفكر ونخطط الآن لما سيحدث مع (علي الطويل) فنحن في غِنى عن التهور والاندفاع، مثلما حدث مع (الدرويش) ولم نستفَد منه بكلمة.

- الحال هنا مختلف، رجل الأعمال هو مَن طلب رؤيتنا حتى يتحدث عن شيءٍ يريده.

- هل ترى أن هناك فارقًا!

وهناك تلاقت نظرات الرجلين وارتسمت ابتسامة، ثم قال (وليد) محاولًا أن يبدو أكثر جدية:

- يجب أن نضع تحت اسم (علي الطويل) مئة خط للأهمية، حتى ولو لم يكن له دخل بما يحدث، ولكني أظن أنه يعرف تفاصيل لم يبُح بها حتى الآن.

فقال ديهوم:

- هل تعلم أن هذا التحقيق الأول الذي لم أصنع له لوحًا على الحائط وأكتب عليه أسماء المشتبه بهم من أقلهم شُبهة إلى أكثرهم.

- هل تعلم لماذا؟ لأننا مشتتون، لا يستطيع العقل بأن يعمل وِفقَ معايير منطقية علمية، لأن ما نراه بأعيننا مختلف عما واجهناه من قبل في مسرح الحوادث.

- نحن أيضًا لن نجرؤ على وضع خطٍّ تحت اسم (علي الطويل) دون دليل قوي أمام المقدم (مصطفى).

ثم صمت (ديهوم) دقيقة، وأكمل وهو يحك مقدمة رأسه:

- ممكن أن يكون هذا تفسير ما قاله (الدرويش) «إبقاء بعض الأشياء مجهولة والتضحية بالقليل أفضل بكثير من كشفها وإحداث فوضى لن يستطيع أحدٌ الصمود أمامها».

فأجابه وليد:

- لا أعلم ما يقصده هذا (الدرويش)، ولكني على يقين أن المال والشهرة والسُّلطة أشياء مهمة، تجعلك لا يمكن المساس بك والجميع سيتجاهل أخطاءك عن عمد.

قالها ثم أخذ كلٌّ منهما سيجارة وظلا ينفثان الدخان فالكلمات التي تبادلاها كافية لإلقاء ضوء الاتهام على سمعة رجل أعمال بارز في الدولة لديه جنسية تجعله شخصًا لا يُسمح بالمساس به بسهولة، فلزم كلٌّ منهما الصمت ما يقارب النصف ساعة حتى وصلا إلى المكان المقصود، صعدا واستقبلهما مدير مكتب (علي الطويل) بحفاوة وأدخلهما غرفته وطلب لكلٍّ منهما فنجانًا من القهوة وظلا يتهامسان على مرض ابن (سامر) حتى وصل رجل الأعمال؛ هيئته ليست رسمية كما كانت من قبل، يرتدي ملابس رياضية ولا خلاف أنها تحمل أشهر العلامات التجارية العالمية الشهيرة، بعد أن صافحهما بابتسامة وترحيب، شرح لهما أنه لم يتسنَّ له الوقت لتبديل الملابس الرياضية لأنه لم يتخذ قرارَ زيارتهم له إلا من ساعتين وهو في فترة التمرين اليومية، فقال له (وليد) بنفس الصدر الرحب والابتسامة الرزينة التي يتحدث بها رجل الأعمال:

- إذًا فالموضوع مُهِم جدًّا!

- مهم... نعم مهم ولكني لا أعلم إن كان سيفيد أم لا؟ ولكن دعونا نشرب شيئًا ساخنًا بينما نتحدث.

قام برن جرس للعامل الذي أحضر لكلٍّ منهم فنجان قهوة ثم تركهم ورحل، وبدأ السيد (علي) بالكلام بأن هناك أمرين، سيبدأ بالأقل أهمية وهو زيارة زوجته إلى العمارة حينما عادت إلى مصر أمس مع الأولاد، قد سألها فارتبكت في البداية بعد ذلك أكدت أن فضولها هو ما دفعها للذهاب هناك أكثر من مرة، ولم يرَها فيهم عمار الحارس إلا مرة واحدة، ولم يأتِ ببالها أنه سيعرف لعدم ذهابه هناك منذ سنوات عديدة وخاصة من بعد وفاة جده، أو من المرجح أنها أعطت الحارس مبلغًا من المال لا بأس به حتى لا يخبر أحدًا من رجالي حينما يذهبون لتفقد الأحوال من حينٍ لآخر، وبعد تنهيدة أكمل وأخبرهم بأنها زوجة شرقية من الصميم رغم الأعوام التي عاشتها في أوروبا فهي تغار عليه بجنون وخاصة بعد نشر الصحف خبر وصور عن علاقته بفنانة مشهورة وأنه سيتزوج بها، ويعلم أنها

تراقب أنفاسه وتحركاته وهذا سبب خلافاته معها كثيرًا، وهنا سأله (وليد) وما الذي أثار غيرتها تجاه مكان كله حوادث انتحار وأشخاص أحوالهم مريبة، فأردف رجل الأعمال قائلًا:

- (سلمى) هي السبب! بالرغم من أني لم أرَها ولا مرة حتى الآن.

فنظر الضابطان لبعضهما، ففسر رجل الأعمال:

- لسوء حظي دخلت زوجتي مرتين وأنا أتحدث في الهاتف مع أحد رجالي للاطمئنان على المتبقي من سكان العمارة المشؤومة، والمرتان كانتا عقب حادثتين انتحار متتاليتين، وأقسمت لها إنني كنت أسأل عن حال الجميع وليست (سلمى) فقط ولكنها لم تسمع ولا كلمة مما قُلته إلا اسم الفتاة.

كان (ديهوم) ينصت لكل حرفٍ يتفوَّه به رجلُ الأعمال، ولكن (وليد) قاطعه بسؤال غير لائق لمكانة (علي الطويل):

- هل يجب علينا أن نسلم بكلامك وكأنه محل ثقة لا رجعة فيه؟

- ثق في كلامي أو لا تثق، أنت حر.

بلع (ديهوم) ريقه بعد رشفة قهوة كادت أن تقف في حلقه حينما سمع (وليد) وقال تداركًا للموقف:

- ما هو الأمر الثاني الأكثر أهمية؟

فنظر له رجل الأعمال مع ابتسامة تجعدت معها عيناه:

- الآن فهمت لماذا أصرَّ عليك المقدم (مصطفى)، وحينما سألته لماذا (ديهوم) أخبرني بأنه «ليس هناك خيارٌ أفضل منه ولأنه شخص جيدٌ جدًّا»

ثم نظر إلى (وليد) وقال:

- أستطيع أن أميز تلك النظرة المحدقة على وجهي منذ وصولي، ولكن بالنهاية لا أهتم إذا كنت في موضع مُرحَّب به في دائرة ظنونك أم لا.

سكت (وليد) رغمًا عنه وفضَّل بأن يجز على أسنانه بدلًا من أن يتجرأ ويخسر ما سيقوله الرجل كما فعل مع (الدرويش)، وبعد أن رأى رجل الأعمال نظرةَ الغيظِ في عيني الضابط شعر بأنه ردَّ له نظرات الاتهام التي تلقاها منه، فأكمل:

- الأمر الثاني لا يعرفه أحدٌ غيري أنا وجدي رحمة الله عليه، وسأخبركم به لأني لا أريد ضحايا آخرين لـ «زُهرة الطيب» فقد سئمت فعلًا مما يحدث.

عند سماع الاسم تبدَّلَت ملامح الضابطين لاستقامة الظهر واتساع العينين وانفراجة قليلة بالفم فأكمل السيد (علي):

- نعم هذا اسمها الحقيقي «زُهرة الطيب» حفيدة الشيخ (الطيب)، حكى لي جِدي عنه بأنه كان رجل دين صالح اتبع نهج الصوفية وعاش عمره مع الزاهدين، وبجانب ذلك كان عليمًا بأمور الجن،

والجماعة التي انتمى إليها أوكلت له هداية الجن العاصي الذي يسخره البشر لفعل الشر.

ثم توقف وكأنه تذكَّر شيئًا ما وشرد معه، ثم أخذ رشفة من الفنجان حتى أنهاه ثم نظر بساعة يده وتنهد وهو يقول:

- دعونا نستكمل حكاية زهره الطيب لا وقت الآن للحنين إلى الماضي فكلما ذكرت جدي أو أي شيء يخصه اعتصر ذلك قلبي على فراقه فهو من قام بتربيتي وأكن له الكثير من الاحترام والحب.

- هل رأى «الشيخة زُهرة» قبل وفاته؟

- بالتأكيد، فهي كانت تعيش مع (الطيب) وجدي حينها كان شيخًا معمِّرًا، مبدعًا برسم التفاصيل، والمهم هنا أنه قام برسم جثتها.

قالها ثم قام بفتح درج مكتبه وأخرج منه عدة أوراق وقام بوضع بعضٍ منهم أمام كلٍّ من الضابطين فأمسكا بالورق، وللمرة الثانية حملا نفس الملامح معًا وكأن أحدًا قام بكسب ماء مثلج عليهما في منتصف ليلة شتوية، شعرا بانقباض بالمعدة وفقدان مؤقت بالاتصال مع العالم المحيط، وبعد مرور دقائق من الصمت نظر (ديهوم) لزميله وجال بخاطره سؤال، فقال رغم ثقل لسانه من البشاعة التي يراها أمامه على الورق:

- ألم نحتفظ بصورٍ لها في أرشيف حوادث الانتحار؟

فأجابه السيد (علي) بدلًا من (وليد):

- لا لن تجد، لقد قامت بحرق كل شيء متعلق بها، لم يتبقَّ غير تلك الصور، كل شيء متعلق بها احترق من تلقاء نفسه، فلم أجد تفسيرًا غير أن شبحها هو من قام بذلك.

- ولماذا لم تقم بالتخلص من هذه الأوراق أيضًا؟

وهنا أخرج من نفس الدرج سبحة ذات حبات قرمزية اللون أحجارها عتيقة، فنظرا له الاثنان متسائلين فأردف:

- هذه السبحة أعطاها الشيخ (الطيب) إلى جِدي قبل وفاته، وقال له بتحذيرٍ ألا تترك يديه فهي تحصنه من أي شرٍّ، إنسًا كان أو جنًّا، وأظن أن هي من تقوم بحمايتي أنا وتلك الصور.

- لقد قام برسم كل جوانب جثتها وكذلك وجهها الضبابي وفيها الصارخ وأيضًا ينقصه العينان، إنه نفس الشكل الذي رأيناه بالضبط.

فتعجب الرجل أنهم رأياها، فلم يرَها أحدٌ من خارج سكان العمارة، ثم أكمل ما يروي لأن وقته بدأ بالنفاد وهاتفه لم يكف عن الرنين، فأخبرهم عمَّا حدث بينها وبين جِده، بالرغم من أن علاقته بها كانت سطحية لم تكن وطيدة مثل جِدها (الطيب) ، ولكن قبل انتحارها بفترة قصيرة سمع صوتَ ضجةٍ يأتي من شقتها فذهب للاطمئنان عليها فوجدَها بحالٍ يُرثَى لها وتبكي وتقول أن هناك كيانًا أسود ضبابيًّا غريبًا أرسل لها كعقاب لما فعلته هي وجِدها (الطيب)، ظِل يظهر لها ويحذرها بأن تتوقف عن مسيرة (الطيب) وتترك ملاحقة الجان وإلا حرمها من ابنها، وبالفعل هذا ما حدثَ؛ وجدت

جثته مقتولًا بطريقة بشعة وكأن حيوانًا مفترسًا نهش جسده، ويومها (زَهرة) أخبرت جِدي بأن الكيان الضبابي الأسود تمكَّن منها وسوف يعودُ ويأخذ روحَها للانتقام لأنها لم تستجب لتحذيره، وأنه لن يرحل من هنا بسلام.

- أتقصد أن هذا الكيان يظهر في شكل «الشيخة زُهرة»؟

بدا (ديهوم) مرتاعًا وهو يسأله، فأجابه السيد (علي):

- هذا أقرب تفسير لما يحدث، حاولتُ كثيرًا فهم ما يحدُث عن طريق الدجالين ومَن له علاقة بالسحر والجن وكيفية التخلُّص منه ولكن دون جدوى.

فلاحقَهُ (وليد) وهو ما زال ينظر بارتياب للصور وقال:

- لمَ لا ندخل إلى بيت القصيد مباشرة، لماذا لم تخبر ذلك لأحدٍ من قبل؟

- هذا هو بيتُ القصيد يا عزيزي.. لم أخبر أحدًا من قبل لدى جهاز الشرطة لأن لا أحدَ منهم صمد مثلكم.

ثم صمت (علي الطويل) دقيقةً وهو ينظر لساعة يده ثم قال:

- كل ما تمَّ ذِكره عن لساني سيظل مصدره سريًّا بيننا.

فقام (ديهوم) بطرح سؤال بطريقة أشبه للسخرية:

- أتعني أنك أخبرتنا لأننا محل ثقة، ولكن لا نستطيع أخبار أحدٍ؛ أهذا الكلام يعقل؟

- لا تخيب نظرتي بك أيها الضابط، كلامي واضح حتى وإن قلت إن مصدره سيظل مجهول الهوية.

ردَّ (ديهوم) مستفهمًا:

- لا تقلق الصحافة لن تعرف بذلك، نحن لا نريد بلبلة أكثر مما نحن عليها، ولكن اسمح لي لم أقتنع أنك أخبرتنا فقط لأننا فرسان شجعان.

فأجاب رجل الأعمال على سخرية الضابط منه بابتسامة سمجة عريضة وكأنه يصوِّر إعلانًا لمعجون أسنان وهو يقول:

- ها هو (ديهوم) كما سمعت عنه... أنا حقًّا لا أريد ضحايا آخرين، وفي الحقيقة سيتم عرض مناقصة في الفترة القادمة لمشروع عقاري ضخم يخص الدولة، وقد بذلت مجهودًا كبيرًا حتى أحصل عليه، ولن أسمح بأي لغط أنا في غنى عنه.

قطعَ الحديث ونظر في هاتفه وهو يخبرهم أن يجب عليه المغادرة الآن، ولكنه رمى الكرة تحت تصرفهم وترك لهم الاختيار فعاد السيد (علي) إلى استكمال الحديث قائلًا:

- حتى الآن لا يوجد أي أدلة مادية تناقض فرضية الانتحار وسيتم غلقها مثل كل مرة وفقًا لأهواء جهاز الشرطة، ولعدم توافُر أدلة يقرر المدعي العام التوقف عن متابعة التحقيق بها.

فأكمل بعده (وليد):

- وما الذي تنتظره منَّا؟

- أن نجبر السكان على إخلاء العمارة، وسأتكفل أنا بمسكن جديد لكلٍّ منهم وتغلق هذه العمارة وتدفن معها أسرارها.

قالها ثم مدَّ يده لهما حتى يسترد الصور، ولكنَّ كلًّا منهما طلب أن يقوم بتصويرها بهاتفه فلم يمانع، وحينما انتهيا أعادهما ومعهما السبحة إلى الدرج، شكرهما على تلبية النداء واعتذر لضيق الوقت وألقيا السلام وغادرا، وبعد أن ركبا السيارة ظلّ (وليد) يثرثر بالكلام وكأنه خرطوم ماء سقط من يد صاحبه وبدأ يتخبط في كل الأنحاء، تارة يستغرب موقف رجل الأعمال الذي يمحو أي شبهة اتهام لتورطه بالأحداث يكفي أنه يمد يد المساعدة للحفاظ على حياة السكان، حتى لو كان الدافع قويًّا هذه المرة لحماية منصب جديد، وتارة أخرى كيف كان منذ ساعة قبل زيارته لم تجد أصابع الاتهام أمامها مشتبهًا به غيره، ولماذا لم يخبر أحدًا من قبل عن حكاية «زُهرة الطيب» والكيان الأسود؟ وهل هذا بالفعل حقيقي أم من نسج الخيال حتى يشتت تركيزهم عن السبب الحقيقي لما يحدث، ثم نظر إلى (ديهوم) الذي كان ينفث دخان سيجارته مستند الظهر على الكرسي وتدور برأسه كل الأسئلة التي يطرحها (وليد)، ثم قال بعد أن رمى عُقْبَ سيجارته من النافذة:

- لقد رأيناها في شقة سعيد.

- وأيضًا في الحجرة أسفل السلم.

- ما رأيك أن نذهب الآن لإلقاء نظرة، كما أن سيارتي هناك أسفل العمارة.

- الشمس غابت، هل تعتقد أن ذلك سيكون صوابًا؟

- هل تشعر بالخوف؟!

- نعم.. قليلًا.

- وأنا أيضًا، إذًا دعنا نذهب وحتى نصل قرِّر بأي مكان فيهما سنبدأ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٠)

«الخوف قادرٌ على إقناع الأسد بأنه بطريق»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«تتردد الشائعات حول رجل الأعمال (علي الطويل) بوجود علاقة تجمعه بفنانة سورية مشهورة لها العديد من الأعمال السينمائية والتلفزيونية، وتداول صورة تجمعهما بمطعم شهير في باريس».

(علياء) سيدة ثلاثينية، تبدو أصغر من عمرها بعشر سنوات، زوجة رجل الأعمال (علي الطويل)، ترجع معرفتهما منذ الجامعة، والدها رجل أعمال صاحب سلسلة محال تجارية، أنجبت منه ولدين، كانت الحياة بينهما مستقرة إلى أن قرأت هذا الخبر في إحدى الصحف فانقلبت الأمور ولم تعد مرة أخرى، بالرغم من أنه نفى ذلك الخبر وتحدثت الفنانة المقصودة ونفت الأمر أيضًا، ولكن (علياء) بالرغم من مرور السنوات على هذا الخبر ما زالت تشكك بكل كلمة أو فعل يصدر من زوجها، تسافر شتاءً مع الأولاد للدراسة ثم يعودون في الصيف، يمكثون فترة طويلة بالشهور وبين ذلك يأتون في الإجازات الأسبوعية، إن لم يكن لديهم شيء مهم للقيام به، وأثناء فترة غيابها عن مصر هناك من يرسل لها كلَّ خُطوات زوجها، وهو يعرف ذلك جيدًا ولكنه يقدِّر جيدًا أنها تحبه ومع كل فرصة تتاح أمامه يعبِّر لها بها عن حبه وامتنانه لوجودها في حياته هو وأبنائه، والداها يقفان بجانبه دومًا في معظم خلافاتها معه وإن كانت كلها، ويصفونها بأنها تبالغ في ردود أفعالها معه وجميع من حولهم من أقارب يرون أنها شخصية عصبية حمقاء لا تقدِّر قيمة زوجها.

عادت (علياء) من الخارج تلبيةً لطلب زوجها حينما أخبرها أنه مفتقدها ويريد أن يقضي معها عدة أيام بمفردهما، حينما سمعت طلبه طارت روحُها ترفرف فرحًا ولكن عقلها تأرجح بين نعم ولا، إلى أن وافقت في النهاية وتركت الأولاد مع جدتهم وحجزت على متن أول طائرة ستعود لمصر لقضاء ثلاثة أيام معه. مرَّ اليوم الأول وكان (علي) منشغلًا بإنهاء أمور طرأت عليه فجأة، تأسف لزوجته كثيرًا وأغدق عليها بأثمن الهدايا. مرَّ اليوم الأول، والثاني، والثالث استطاع أن يعود البيت مبكرًا عن الليالي الماضية ليدخل عليها وهي تجلس في الشرفة، شعرها متهدل ورائحة الكحول المختلط بعطرها النفَّاذ تفوح منها، كانت بالغة الحزن حينما اقترب منها أدارت له ظهرها، ظلَّ يداعب جسدها الناعم وشعرَها الأملس حتى تراخت يداها على كتفيه ومنحته تنهيدة صغيرة فحملها بين ذراعيه وهو يقبِّل شفتيها اللتين أعلنتا الراية البيضاء ولكن جسدها ما زال باردًا، فأدرك أنها تحمل بعضًا من العتاب فانهال على جسدها بالحب ولم يعتقها حتى انفرجت شفتاها بابتسامة رضا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأت الأحداث تتصارع مع عامل الوقت بعد أن بدأت الجهات العليا تتواصل مع المقدم (مصطفى) حتى ينهي التحقيق في حادث «عمارة الشيخة زُهرة» التي يملكها رجل الأعمال (علي الطويل) وأن يتوصل للحقيقة في أقرب وقت بأي ثمن، لأنه سيتم إرساء مناقصة عقارية تخص الدولة عليه، وليس هناك رجلٌ يستحقها غيره وبجدارة، ومع الضغط من القوى الرئاسية بالتعجيل، لم يجد السيد (مصطفى) أمامَه غيرَ أنه يحفز فريقه، فهاتفَهُم وأخبرَهُم بأنه كلما تم الإسراع في الوصول لحلِّ اللغز

وإغلاق التحقيق ستكون هناك ترقيات ومكافآت مالية مضاعفة، وحينما عرف (ديهوم) بالأخبار السارة تحدَّث إلى (سامر) وأخبره بما سمعه من رئيسه، فابتهج في البداية ولكنَّ نبرة الحزن في صوته كانت طاغيةً لدرجة أن (ديهوم) ظنَّ أنه يبكي فحاوَلَ مواساته وطمأنه بأنهم في طريقهم للعمارة ربما يظهر جديد لم يكن بالحسبان، ثم تركَهُ مع زوجته وابنه في المشفى لاستكمال الإجراءات الطبية اللازمة وفقًا للحالة الحرجة التي يتعرض لها الطفل.

أوقف (وليد) السيارة أمام مدخل العمارة ولم يتحرك أيٌّ منهما للخروج، ظلَّ (ديهوم) ينظر إلى المدخل حيث رسمت جثة «زُهرة الطيب» بشكلها البشع بينما (وليد) اتسعت عيناه وأخذ يقلب في صورتها يقربها حينًا ليتفقد أقرب تفاصيل الوجه المشوه، ثم يبعدها ليرى الصورة كاملة وبعد تنهيدة طويلة قال:

- حتى الآن لا يستطيع عقلي تقبُّل فكرة أننا نواجه جنًّا وشياطين، أنا متأكد من أن هناك يدًا بشرية خلف كل هذا.

- بالرغم من شعور الخوف الذي جعلنا حتى الآن لم نخرج من السيارة مثل الطفل الذي يبكي لذهابه المدرسة أول يوم مجرد خوفه من عالم لا يعرف عنه شيئًا!

- (ديهوم)... نحن رجال شرطة لا يجب أن ننجرف خلف هذا، نحن لا نؤمن إلا بالمنطق والأدلة المادية غير ذلك من (الدرويش) وغيره مجرد تخاريف وأوهام لذوي العقول الضعيفة.

- ما حدث مع (الدرويش) في التحقيق السابق أمام عيني وهو يتواصل مع روح من عالم الأموات جعلني مؤمنًا بأن المنطق واللا منطق مجرد مسميات وضعها البشر إلى أن يطفو أحدهما على السطح ويثبت غرق الآخر.

ثم صمت لحظات وهو يقلِّب في الصور:

- إن كان ما تقوله صحيحًا فأبشر، كلما زادت احترافية الفاعل كلما افتقر إلى الخيال الواسع وأنا لدي منه الكثير.

قالها (ديهوم) وما زالت عيناه تزوغان في مدخل العمارة حتى حبس أنفاسه مرة واحدة وكأنه فقدَ النطق مع اتساع مقلتيه وأمسك بمقبض الباب وترجل من السيارة متقدمًا بخطى ثقيلة إلى الداخل وتبعه (وليد) وهو يسأله «ماذا هنا؟» ولكنه لم يجب وأكمل تقدُّمه حتى وصل لباب الغرفة السفلية وانقض عليه كأنه أمسك قاتلًا متسلسلًا، حاول (وليد) أن يوقفه لأن الباب موصد بالمفتاح، ولكنه لم يهدأ إلا حينما فجأة سمعا خلفهما أنفاسًا ونبرة هامسة:

- ها هو المفتاح!

- من أين حصلتِ عليه؟ دائمًا يحمله (عمار) وفي المرة الأخيرة تركته بالباب.

قالها (ديهوم) لـ (سلمى) مستنكرًا حينما وجدها تقف خلفهما بهدوء وتحمل المفتاح فأجابته بابتسامة:

- نعم لقد وجدته السيدة (نادية) بالباب وحينما دخلوا جميعًا طلبَتْ مني أن أحكم قفله من الخارج، وحينما رأيتكما من الشرفة تدخلان العمارة نزلت على الفور.

فقال في حنقٍ شديدٍ:

- لا أفهم معنى هذه الابتسامة، ولا على مَن تتحدثين!

- لماذا كل هذا الانفعال؟

فصاح بها وكأنه لم يستطع التحكم في عصبيته:

- أريد اللحاق بها.

- «الشيخة زُهرة»؟

- زوجتـ...

فمسح على وجهه بكفه محاولًا الصمت، فتدخل (وليد) واقترب من (سلمى) وأخذ المفتاح وقام بالتقدم أمام (ديهوم) وفتح الباب ووقف الضابطان في صمت دقائق بينما رحلت الفتاة وصعدت لشقتها فورَ فتح الباب، ليجدوا السيدة (نادية) والسيد (علاء) وزوجته وفتاتيه يجلسون جميعًا القرفصاء في إطار دائرة وتتوسطها مجموعة من الشموع تنير ظلمة المكان، ولكنها انطفأت جميعها حينما فُتحَ الباب، أداروا رؤوسهم بغضبٍ للضابطين وقالت السيدة (نادية) بغضبٍ غير مشهود على وجهها من قبل:

- من أذِنَ لكما باقتحام الغرفة هكذا؟

- ماذا يحدث هنا؟

- أنت لا تفهم شيئًا، يجب أن تغادر هذه العمارة قبل أن تعرِّض نفسك للأذى.

- كل منكم مُطالَب بتفسير ما يحدث هنا؟

قالها (ديهوم) ثم نظر على الأرض وقال رافعًا حاجبيه:

- أهذه هي الشموع التي كنتِ تقومين بصنعها من أيام وعليها نقط الزعفران التي حدَّثتك عنها (الدرويش)؟

ظلت تنظر له في صمتٍ بينما تسرب الآخرون من عائلة علاء فردًا تلو الآخر حتى غادروا الغرفةكأنهم أموات عادوا من قبورهم، وجوهُهم شاحبة مائلة للزُرقة وعيونهم جاحظة ولم ينطقوا بكلمة، ثم عادت السيدة (نادية) إلى الشموع وقامت بجمعها وقبل أن تخرج وقف الضابطان معرقلين خروجها وسأل (وليد):

- أنتِ تعلمين بأنني لا أصدِّق هذه الخرافات والروحانيات منذ البداية ولهذا لم تحتكِ بي والآن وجب عليك التفسير.

- لم أحتك بك من البداية لأن الموت يلاحقك، رأيتها في أول بطاقة تاروت سحبتها لك حينما رأيتك، وعندما غادرت ظهرت نفس الورقة وثالث ورابع مرة، أنت سترحل وهو سيتعرض لأذى كبير والآن اسمحلي بالمغادرة.

- لا، لن يحدث، نحتاج تفسير.

قالها (ديهوم) بإصرار وصرامة، وأردفت السيدة بتوتر:

- نعم تجمعنا اليوم وقبله وقبله مرات عديدة حتى نتمكن من رؤيتها، لم نعد نستطيع الصمود أكثر من ذلك.

- «الشيخة زُهرة»؟

- نعم، هي»زُهرة الطيب».

سقف (ديهوم) بيديه وهو ينظر لأعلى ويقول بصوت عالٍ:

- اليوم ولأكثر من مرة يتردد الاسم بنفس الشكل مِن «الشيخة زُهرة» إلى «زُهرة الطيب».

فأكمل له (وليد):

- وهذه المرة الثانية، وفي نفس المكان يخبرني أحدهم أنني سأموت.

- لا أعلم عما تتحدثان والآن اسمحا لي بالخروج.

قالتها ثم دخلت بينهما وأزاحت جسديهما بكتفها، وبعد أن تقدمت خطوات خارج الغرفة أدارت رأسها ونظرت لـ (ديهوم) وأخبرته بأنه مرحَّب به في بيتها في أي وقت وأن يتوخى الحذر على نفسه، ويجب مغادرة الغرفة في الوقت الحالي وإحكام غلقها قبل سواد الليل، ثم أكملت طريقها وغادرت وتركت الرجلين ينظران لبعضهما في حيرة وغضب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١١)

«حاول أن تتخلص مني كيفما شئتَ، لا أحد سيقدر على محو القناعات التي رسختها بعقلك ولا حتى أنت»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت (علياء) وأولادها في الإجازة الأسبوعية ليقضوها في مصر مع والدهم الذي أجَّل كل مواعيده ليتفرغ لهم وحتى يعوِّض زوجته عن الزيارة الماضية التي انشغل فيها، وكانت ثلاثة أيام ولا أروع مرت على الصبيين وأبيهم، إنما (علياء) كانت تبتهج، ولكن على استحياء وكأنها لا تريد أن تدخل الفرحة قلبها خشيةً من شيءٍ ما. وفي الليلة الأخيرة لهم قبل الرحيل صباحًا، كان الجميع يجلس أمام التلفاز يشاهدون فيلمًا جديدًا فشعر (علي) بحزن، فأوقف المشاهدة وسألهم بنبرته الهادئة:

- ما بها والدتكما؟ منذ أن أتت وهي حزينة!

ردَّ الابن الأصغر:

- ليس بها شيء، هي هكذا طوال الوقت تجلس حزينة وتبكي.

وأكمل الكبير:

- ليس طوال الوقت، هناك أوقات كثيرة أخرى تكون سعيدة جدًّا وتخلق حالة من البهجة، وتظل فترة هكذا إلى أن تعود حزينة مرة أخرى دون أن يطرأ أيُّ أمرٍ جديدٍ.

فاقترب منها (علي) وحاوطها بذراعه وهمس بأذُنها:

- هل بدرَ مني شيء أزعجك؟

فابتعدت عنه وقالت وهي مرتبكة:

- لم يفعل لي أحدٌ شيئًا.

صمت (علي) دقائق وفكَّر في شيء يفعله حتى يجعلها سعيدة فقال لها بنبرة حماس:

- هل رأيت آخر طراز من سيارتك المفضلة الذي تم طرحه في السوق أمس؟

فقال الابن الكبير بحماس:

- نعم جميلة جدًّا جدًّا يا أمي، لقد رأيناها أمس أنا وأخي.

- سوف أتحدث إلى أحد معارفي لديه معرض لبيع السيارات حتى يحجز لكِ واحدة بلونك الأبيض المفضل.

وبينما هو يمسك بهاتفه ليفعل ما قاله، قامت (علياء) وهي غاضبة وقالت وهي تزفر:

- لا أريد شيئًا، لقد أخبرتك أنني بخير.

ثم انصرفت ودخلت غرفتها وأغلقت بابها. اقترب (علي) من ابنيه وأخبرهما بأن والدتهما طيبة جدًّا وحساسة للغاية، وأن لا يحاول أحدهما مضايقتها حتى تعود لحالتها الطبيعية في أقرب وقت، ثم قضى معهما قرابة الساعة يضحكون ويتبادلون الأحاديث والحكايات حتى حان موعد النوم فاتجها لغرفتهما وهو أيضًا، وقف أمام باب غرفته ثم طرقَهُ عدة مرات ولم تجِبه فدخل للاطمئنان عليها وأضاء النور ليجدها نائمة على الأرض، رأسها منطرح للوراء منفوشة الشعر ومفتوحة الصدر فجلس بجوارها أرضًا يلعب في خصلات شعرها المبعثر بلونه الذي يشبه قشر البندق الذي طالما عشق انسجامه مع بشرتها البيضاء، كان صوتُ تنفُّسها عاليًا ينهض معه صدرها العاري وينخفض بانسيابية، ثيابها الشفافة منحسرة بين طيات فخذيها وبجوارها ملقاة زجاجة «الفودكا» المخففة بعصير الفواكه فارغة تمامًا، نوعها المفضل، فاقترب منها ليستنشق رائحة جسدها الممزوج به فلم يتمالك نفسه ونزع ملابسه ثم أسند رأسها على يده وضمها إلى صدره فأحس بدفء وألفة جسدها، شعرت به وفتحت عينيها فانتزعت نفسها بهدوء من هذا الالتصاق الحميم، فاقترب منها مرة أخرى وحملها وصعد بها إلى الفراش واستلقى بجوارها، وحاول أن يبدأ معها الحديث في مواضيع مختلفة ليعرف ما بداخلها ولكن دون جدوى. وبعد كثير من المداعبة أفضت بالنهاية لابتسامة وقُبلة صغيرة.

في الصباح استيقظ ليجدها تجلس أمام مرآتها تمشط شعرها وهي تتفحص ملامح وجهها وتمرر إصبعها على الهالات السوداء التي نشعت تحت عينيها وتقول:

- لم تكن موجودة من قبل ولكنها زادت في الفترة الأخيرة.

فاقترب منها وهمس:

- لم تقلل من جمالك شيئًا بل زادته غموضًا.

فقامت وانكمشت بصدره، فضمها وهو يخبرها بأنه يفتقدها كثيرًا، فبادلته عدة قبلات دافئة ثم عادت إلى مرآتها والتقطت زجاجة العطر، وقالت وهي تنثر عبيرها على رقبتها:

- هذه المرة أريدك أن تبدِّل لون السيارة.

- أي سيارة؟

اعتدلت ونظرت له وهي تبتسم:

- السيارة التي سوف تشتريها لي، سوف أغيِّر اللون الأبيض هذه المرة أريدها حمراء.

زفر (علي) وهو يقول بحنق:

- ولكنك أمس غضبتِ حينما اقترحت عليك شراء الطراز الجديد ورفضتِ بشدة.

- لا لم يحدث، لقد أخبرتك بعدها أنني موافقة، وأنت تحدثت إلى الرجل واتفقت معه على حجزها.

هنا دخل الصبي الكبير وألقى الصباح عليهما ليجد أباه محبطا وأمه غاضبة، فاقترب من أبيه وطبع قُبلةً على خده ولم يسأل ما يحدث بينهما، وقبل أن يغادر الغرفة ناداه والده، وقال متسائلًا بضيق:

- ماذا حدث أمس حينما عرضت على والدتك أن أشتري لها سيارة جديدة.

- غضبت ورفضت!

فنظر لها زوجها نظرة عتاب، وكأن الصبي فهم ما يدور فذهب لأمه واحتضن رأسها وهي جالسة وقال موجهًا لأبيه:

- أنت تعلم يا أبي أن حالها يتبدل سريعًا، كما أنها كثيرة النسيان أرجوك لا تلوم عليها ولا تضايق حالك فهذه ليست أول مرة.

- نعم، ولن تكون الأخيرة.

قالها ثم بدَّل ملابسه وودَّع الصبيين وانحنى على يدها وهو يقبِّلها وأخبرها أنه سيطلب لها السيارة حمراء كما طلبت ثم غادر وتركها، انخرطت في البكاء وهاتفت والدتها وأخبرتها بما حدثَ وهي تتحدث بسرعة وتشهق بين كل جملة وأخرى، وفي النهاية اقترحت عليها والدتها أن تأخذها غدًا لطبيب نفسي فوافقت وقررت بأن تؤجل موعد الرحيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأجواء زادت تعقيدًا، والجميع يرتدي ثوبَ الغموض، والألسنة لا تنطق إلا بالشحيح الذي لا يفضي إلى أي خيوطٍ مُفيدةٍ؛ صعدت عائلة (علاء) وبعد أن دخلوا شقتهم ظلت الفتاة الصغيرة (ميار) تصرخ بأعلى صوت «لم أعد احتمل أكثر من هذا»، وتبكي بحُرقةٍ وتشد خصلات من شعرها حتى نزعها ثم دخلت غرفتها وأغلقت على نفسها ولم يتحرك أحدٌ منهم خلفها وسكنوا على الأريكة في ثبات يحملقون في اللاشيء هنا وهناك، بينما صعدت السيدة (نادية) إلى (سعيد) وقرعت جرس الباب وجدت حالته كما هي يُرثى لها، لم يتغير به شيء غير تبديل ملابسه بأخرى نظيفة، وعرض عليها الدخول فنظرت بالداخل وجدت الشقة شديدة الظلام بها بصيص من خيط ضوء يأتي من غرفة النوم، فدخلت. وحينما وصلت لمنتصف الصالة وجدته ذهب بجوار نباتاته وأخذ يتحدث معهم تارة وأخرى يخبرها عن الزهور التي تفتحت والأخرى التي ذبلت وماتت، فاقتربت منه وهمست بأذنه وهي تضع الشموع بيديه: «حافظ على شعلة مضيئة طوال الليل، فالسماء شديدة السواد»، نظر لها الرجل وابتسم ابتسامة عريضة كشفت عن جميع أسنانه، وبعد أن حملهم بيدٍ مرتعشة وضعهم على الطاولة واتجه للمطبخ، بينما رحلت السيدة ونزلت إلى شقتها، تناولت دواءها، ثم دخلت الحمَّام وأشعلت به شمعة وتركتها على الأرض ثم اتجهت إلى سريرها وشدَّت عليها الغطاء وهي مُتكئة ظهرها على السرير وتنظر إلى النافذة وكأنها تترقب حدوث شيء، وفي نفس الأثناء ترك (ديهوم) الضابط (وليد) بمفرده في غرفة أسفل السلم وصعد هو إلى شقة (سلمى) لمحاولة فَهم منها ما الذي كان يفعله الآخرون، ولماذا لم تخبره به من قبل، وبينما هو يصعد السلم شعر بزغللة في عينيه فحاول أن يمسك بالدربزين وأغمض عينيه بشدة، وحينما فتحهما وجدها أمامه مباشرة تقف بملامح الوجه الضبابية السوداء تفتح فاها وتغلقه وكأنها تتحدث ولكن في صمتٍ، كلما تراجعت درجةً لأعلى صعدَ هو خلفها إلى أن

وصلت إلى باب شقة تكسوه الأتربة وعليه شمع أحمر أصبح متحجرًا وهنا دخل طيفها من الباب واختفت، وقف يتلفت يمينًا ويسارًا فلم يجدها وظلَّ يتحسس الباب بيديه ولكنها رحلت ولم يتبقَّ على يديه إلا غبار أسود فاستدار ليجد شقة (سلمى) في آخر رواق الطابق فاتجه لها ورنَّ الجرس ففتحت له وهي تفرك بعينيها الحمراوين فقال لها:

- هل قلقت منامك؟

- هل ينام أحدٌ هنا في هذه العمارة؟!

- أريد أن نتحدث قليلًا.

فقامت بفتح الباب على مصراعيه ورحبت به وسألته عن سبب السواد على يديه فأخبرها أنه تحسس الباب المقابل لها فقالت بشهقة فزع:

- لماذا اقتربت منه؟

- هل هذه شقة «الشيخة زُهرة»؟

- نعم ولم يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منها يومًا، يكفي ما يأتي منها من أصوات وضجة طوال الليل.

قالتها، ثم عرضت عليه أن يدخل يغسل يديه فذهب للحمَّام، وبعد أن فتح الصنبور وغسل يديه ووجَّه نظره للمرآة وجد عينيه حمراوين فاقترب حتى يرى ما بداخلهما ليجد انعكاس وجهه بالمرآة لم يتحرك، هو وجسده ثابتان عن الحركة، وفجأة ظهر خط على رقبته، بدأ الدم ينسال من أوله حتى تحول لشق ينزف بغزارة، تحسس رقبته وملابسه بفزع وهو ينفض نفسه فلم يجد شيئًا، فتلاشت مع حركته الصورة المنعكسة ورأى نفسه بملامحه المرهقة فجفف يده وظل يفرك بعينيه حتى خرج فسأل (سلمى):

- أظن أن شيئًا دخل بعيني.

- لا ليس هناك شيء بهما.

فأنزل يديه ونظر لها باستغراب، وقبل أن يبدأ الاستفسار، فجأة وجدَ شكلها يتغير إلى أن تبدلت بزوجته واقتربت منه ووضعت يدها على خده وهمست:

- ألم يحن الوقت لتأتي معنا؟

قالتها وأشارت بيدها على الأرض، فنظر (ديهوم) ليجد جنينًا مُلقى على الأرض وتتدفق الدماء من حبلِه السُّري، فوضعت يدها مرة أخرى على خده لتدير نظره لها، وتجعدت ملامحه وهو يقول:

- ولكن هذا ليس حقيقيًّا... أنتِ لستِ حقيقية.

- ليس لديك حقيقة غيرنا، اترك كل هذا وتعالَ معنا.

- ولكن...

اشتدت الزغللة بعينيه وظل يفتح ويغلق فيهما ومع كل طرفة كان يتبدل شكلها بـ (سلمى) وتظهر «الشيخة زُهرة «كأنها ظِل يخرج من جسد الفتاة ويعود لتتبدل بهيئة زوجته، ظل هكذا حتى أمسك رأسه وجلس أرضًا يبكي ويبحث عن الجنين ولكنه لم يجد غير الدماء فاقتربت منه زوجته وهي تتحسس وجهه وتمسح دموعه وضمت رأسه إلى صدرها واحتضنته بقوة ودست أنفه في شعرها فاستنشق عبيرها، اقترب منها وأغرق وجهها بالقبلات فهمست برقة:

- أفتقد أنفاسك الحارة المشبعة برائحة السجائر.

مرت دقائق من الحنين بينهما حتى استفاق على نبرة مقتضبة من (سلمى) ولكمات من يدها الصغيرة وهي تصرخ بوجهه وتأمره بأن يبتعد عنها، وقد تضرج وجهها واضطربت أنفاسها وهي تزحف بعيدًا عن جسده الذي انقض فوقها، بينما ظل (ديهوم) لحظات محاولًا أن يتدارك ماذا كان يظن أنه يحدث وبين ما فعله بالفتاة فابتعد عنها وهو يردِّد الاعتذار ويقول بضجر:

- كيف حدثَ ذلك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن صعد (ديهوم) لشقة (سلمى) جلس (وليد) بمفرده في وسط الغرفة، كانت شديدة الظلام يتسرب إليها ضوءٌ رفيعٌ يأتي من نافذة حمَّام السيدة (نادية) مصدره الشمعة التي أشعلتها منذ قليل، وأمسك بهاتفه وأخذ يقلب في صورة «الشيخة زُهرة»، عقله ينفي بينما عيناه تؤكدان وهي تلمح طيفها يمر بالمكان وهو يتجاهل عن عمد ولا يريد إمعان النظر فيه وظل يردد بصوت عالٍ: «هذا ليس حقيقي»، «تهيؤات.. تهيؤات».

مرت دقائق ولم تتوقف عن الدوران بالغرفة حتى أخذ نفسًا عميقًا، فاتسعت عيناه ورآه ينظر له وعيناه مليئتان بالحزن ونباحه مكتوم متهدج وكأنه يئن من الألم، فسقط الهاتف من يده وهو معه وتقدم زحفًا على ركبتيه ويديه حتى وصل له، ليجد نفس نظرة العتاب على عينيه فتحسس شعره الأسود الغزير وشمَّ رائحته التي كان يفتقدها وأمسك به وظلَّ يبكي بحُرقة بجواره، وتذكَّر ذلك النهار وهو يتمرن على إطلاق الرصاص بين مسافات بعيدة وكان معه «بودى» من سلالة كلاب «الراعي الألماني»، كان له بمثابة فردٍ من عائلته يصطحبه معه أينما ذهب ولكن في هذا اليوم بينما كان (وليد) يتمرن، قفز أمامه «بودي» دون سابق إنذار فاستقرت بجسده رصاصة أنهت حياته في دقائق كانت الأصعب على (وليد)، لم تفارق عقله من أعوام مضَتْ، ظلَّ عقله يتساءل، كيف أتى إلى هنا؟ لماذا يراه الآن في هذه الغرفة؟ كيف تجسَّد أمامه الإحساس القاتل بتأنيب الضمير الذي يعيش بداخله منذ سنواتٍ؟ كلُّها أسئلة تدور بعقل الضابط الذي يحاول جاهدًا أن يتغلب على كل ما يحدث حوله، ولكنها عادت للدوران بالغرفة وصوتُ نباح الكلب المكتوم يزداد وهاتفه يضيء على صورة جثتها وفمها الصارخ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظلت الفتاة الصغيرة (ميار) تصرخ بأعلى صوت «لم أعد أحتمل أكثر من هذا» وتبكي بحُرقة وتشد خصلات شعرها حتى نزعه، ثم دخلت غرفتها وأغلقت على نفسها ولم يتحرك أحدٌ منهم خلفها

وسكنوا على الأريكة في ثباتٍ يحملقون في اللا شيء هنا وهناك..

أتت الفتاة بهاتفها ودخلت على حسابها الشخصي على «الفيسبوك» وقامت بفتح «كاميرا» الهاتف على بثٍّ مباشر، بعد دقائق شاركَها فيه العديد من الأصدقاء الذين لا تعرفهم ولا يعرفونها معرفة شخصية، مجرد اسم الحساب الشخصي بها والصورة السوداء التي تضعها به، بينما الآن هي تظهر أمامهم صوتًا وصورةً، الجميع بدأ بكتابة التعليقات على شكلها وما الذي فعلَ بها ذلك، وهل يقوم أحدٌ بتعذيبها؟ ولكنها اكتفت بالصمت حتى تجمَّع الآلاف، ثم تحدثت وقالت اسمها الكامل وسنها، وقامت بقص كل حوادث الانتحار التي حدثت بالعمارة التي تكلمت عنها الصحافة والتي لم تذكر من قبل، انهالت عليها الكثير من الأسئلة ولكنها لم تتوقف عن الحديث وقالت كل كلمة ذكرها السكان عن «الشيخة زُهرة»، وتحدثت عن كم العذاب النفسي الذي تتعرض له هي وأسرتها بالرغم من أنهم لم يروا شيئًا، ولكن يكفي ذُل الصبر حتى يروها ويأتي عليهم الدور لينتهي بالموت، وبينما هي تتحدث أمامهم مباشرة وتخطت المشاهدات النصف مليون، أتت دون سابق إنذار بقلم حبرٍ ذي سنٍّ حادٍّ وقامت بغرزه بكل قوتها في رقبتها فتناثرت الدماء على العدسة ومعها صدحت صرخةً في بيت كل شخص كان يشاهدها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٢)

«الأشباح حبيسة داخل أجسادنا، حينما ينتصر الخوف علينا تحررها عقولنا فتصبح حقيقة»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في اليوم التالي ذهبت (علياء) مع والدتها لزيارة عيادة طبيب نفسي، بعد أن حكت له ما يجري معها من تضارُب بين ما يحدث من الآخرين، وبين ما تتذكَّره ومتأكدة أنه ما حدث وليس ما يقولون، أخبرها بأنه لن يستبق الحكم على حالتها وستحتاج لعدة جلسات علاجية ليسمع منها أكثر عن علاقتها بكل مَن حولها وطلب منها المواظبة على تناوُل المهدِّئ الذي كتبه لها حتى يراها الجلسة القادمة، تحسنت حالتها المزاجية قليلًا وقررت بأن تبقى بمصر لمتابعة الجلسات العلاجية، وسافر الصبيان لجدتهما مع المربّية، استيقظت ذلك اليوم والأمل يداعب صباحها فذهبت لتصفيف شعرها بالمحل وتزينت ثم ذهبت إلى أحد المتاجر العالمية وقامت بشراء ساعة يد رجالي، واتجهت إلى (علي) في مكتبه زيارة مفاجأة، حينما رآها رحَّب بها وأبدى لها إعجابه بتسريحة شعرها وشكرها على الساعة وذوقها الرائع في اختيار الهدايا، فاقتربت منه تتودَّد إليه محاولة تصحيح ما بدر منها في الفترة الماضية، جلست على فخذيه وحاوطت رأسه بذراعيها وضمته بين صدرها وهي تقبِّل رأسه ثم بدأت بلثم شفتيه حتى تعرقت جبهته فمررت يدها ومسحتها برِقَّة وقالت له برفق وهي تحدق بوجهه:

- الليلة ستكون مختلفة، لا تتأخر.

ثم همت للمغادرة وأمسكت بحقيبتها، توقفت وهي تمسك بمقبض الباب لفتحه وكأنها تذكرت شيئًا مهمًا، أدارت جسدها وقالت:

- سمعتك تتحدث مع أمي أمس في الهاتف، ماذا كانت تخبرك؟

عقد حاجبيه وقال متستنكرًا:

- لم أتحدث معها منذ عدة أيام، حينما كنتما عند الطبيب اطمأننت منها عليك وعلى ما قاله الطبيب.

- لاا، أنت كنت تتحدث...

قالتها (علياء) باندفاع، ثم توقفت لحظة وقد اعترى الحزن وجهَها، ثم قالت:

- لا عليك... ربما خيل لي هكذا وسمعتك تتلفظ باسمها وأنت تتحدث بالهاتف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع بزوغ الفجر كان المقطع المصور لانتحار الفتاة (ميار) قد أتى بملايين المشاهدات وأسرعت فرق التحقيق والتحري إلى مسرح الحادث لمعاينة واستبانة كل الأدلة المادية التي قد تكون مهمة، وقاموا بتسجيل الشواهد من وضعية الأبواب والنوافذ والظلال والروائح وآثار الأنشطة والأداة التي قامت الفتاة الانتحار بها، ووثقوا كل ذلك بالصور الفوتوغرافية والفيديو والرسوم؛ كان المقدم (مصطفى) يقف على رأس طاقم التحقيق الجنائي ومعه (سامر) بينما (ديهوم) و(وليد) مختفيان، قام المقدم

والضابط بالاتصال بهم عدة مرات ولكن بدون إجابة وحدثت مهاتفة بين السيد (مصطفى) ورجل الأعمال (علي الطويل) بعد انتشار المقطع المصوَّر على «الفيسبوك»، وأخبره أنه تحدَّث مع أحد المسؤولين الكبار في الدولة وألحَّ عليهم ترجيًا أن يسرع بإخلاء العمارة من السكان تحت أي قرار أو مُسمَّى قانوني، وأخبره المقدِّم أنه سيتم عقد اجتماع وسيتم إبلاغه بما يقررون وطمأنه بأنه هو أيضًا يميل لهذا القرار وسيعمل على تنفيذه لعدم ظهور أيِّ تطورات ترمي بأصابع الاتهام مع أدلة تستدعي البقاء على التحقيقات ويكفي ما يحدث من حالات الانتحار، وبعد انتهاء المكالمة نظر إلى (سامر) الذي لم يتوقف عن الاتصال بزميليه ثم سأله بصوت غاضب:

- لم يُجب أحد منهما؟

- لا وأظن أن حدث معهما شيء مريب.

- لا أرى ريبةً أكثر مما يحدث منهما وخاصة (ديهوم).

- كِلانا يعرفه جيدًا، ربما خطواته بطيئة ولكنها بالنهاية مثمرة.

فقال له المقدم مصطفى مفسرًا:

- ما يحمله بداخله من ذكرياتٍ مؤلمة يؤخرنا كثيرًا، والوقت ليس في صالحنا أو بالأحرى الجميع يريد غلق التحقيق في أقرب وقتٍ.

- ماذا عن آلات التسجيل التي وُجدَت عن طريق الصدفة، والرجال الملثمين الذين تحدثت عنهم (سلمى)، وكانت سبب وجودنا هنا من البداية.

- ربما يكون فضولًا من عابر سبيل أو فرد من سكان العمارة، وأن ما رأته الفتاة من وحي خيالها، فالجميع هنا غير متزن وبهم شيء غامض.

- وهذا الشيء الغامض ألا يستحق المزيد من العمل.. لا أظن أن (ديهوم) سينسحب بهذه السهولة.

- حاول أن تجده أولًا ثم نناقش هذا لاحقًا.

قالها السيد (مصطفى) ثم تركه ليستعجل الفريق وطلبَ منهم إرسال جثة الفتاة إلى الطب الشرعي وإبلاغهم بضرورة إرسال نتائج التشريح سريعًا، ثم عاد إلى (سامر) وهو في طريقه لمغادرة مسرح الحادث وأخبره أنه سيعمل على إغلاق التحقيق في حوادث «عمارة الشيخة زُهرة» وسيتم إخلاء السكان منها للحفاظ على السلامة والأمن العام، وطلبَ منه أن يبحث عن الضابطين ويخبرهما بعقد اجتماع على وجه السرعة اليوم في مكتبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابتعد (ديهوم) عن (سلمى) بعد أن تدارك ما فعله، عجز عقله عن تفسير ما حدث منه تجاهها، وما يتذكره بأنه كان يرى زوجته وهي التي اقتربت منه ولامسته، تملكه شعور بالذنب تجاه (سلمى) التي كانت تتحسس ملابسها وهي تبكي، تمنى حينها لو انشقت الأرض من تحته وابتلعته ودارت بذهنه جملة «الجميع هنا يشعر بالذنب والخوف ولهذا ينهون حياتهم بأيديهم.. وهذا ما حدثَ معي الآن»،

أمسك رأسه بكلتا يديه وهو يضغط عليها وتجعدت معها عضلات وجهه، مرت لحظات عليه وهو ينظر حوله كاد أن يجن فيهم، ولوهلة تذكَّر (وليد) وشعر بالخطر فاعتذر تكرارًا ثم غادر ونزل مهرولًا على السلم حتى وصل للغرفة السفلى، وحينما دخل كان صوت أنفاسه المتلاحقة من الركض قد تداخلت مع صوت نحيب (وليد) الذي ينكب على وجهه أرضًا، بينما تعلو يداه عن الأرض وكأنه ممسكٌ بشيء، وهو يردِّد: «أنا آسف، أنا آسف لم أقصد إيذائك..لم أتعمد قتلك» وهنا تيقن (ديهوم) أن زميله يمر بنفس الضبابية التي مرت عليه منذ دقائق مع الفتاة، فاقترب منه ونزل مستندًا على ركبتيه وربت على كتف زميله وظلّ ينادي باسمه والآخر ما زال يبكي بحرقة، انقضت دقائق على هذا الحال حتى عاد (وليد) إلى رشده وحينها نظر بين يديه لم يجد الكلب وليست هناك دماء تلطخه ولم يجد إلا (ديهوم) يجلس بجواره وعيناه يملؤهما خوفٌ مع حزن واستسلام جسده ينم عن نقطة يأس يقف عندها عقله، فاعتدل في جلسته ومسح على وجهه فقال (وليد) بصوت متهدج:

- هل حدث معك مكروه؟

- حدث معنا نفس ما يحدث مع ساكني العمارة.

نظر له (وليد) ليكمل جملته حتى يفهم مقصده، ولكنه صمت فتبع ذلك تنهيدة مأساوية، وقال بذعر وصوت هامس:

- لقد رأيت «بودي» وهو ينظر لي معاتبًا.

- مَن «بودي»؟

- لم يكن مجرد كلبٍ أقوم بتربيته فهو كان بمثابة الصديق والحارس، أثناء التدريب ظهر أمامى فجأة، فأخذ الرصاصة بجسده ومات.

هزَّ (ديهوم) رأسه وهو يقول:

- شعور بالذنب، خوف، تأنيب ضمير، عودة الموتى أليس كل هذا كفيلًا للانتحار؟

- أتقصد أن ما حدث معي توًّا، حدثَ مع جميع من ماتوا ويحدث مع الحاليين؟

- إلا...!

- السيدة (نادية) وعائلة (علاء).

- هذا صحيح، وأيضًا الوضع بينهما مختلف هي لم تتأثر بشيء لا جسديًّا ولا نفسيًّا، بينما هم أصبحوا مثل المسوخ ومدمرين نفسيًّا، والباقي (سعيد) و(سلمى) على شفا حفرة من الانتحار، كل هذا في جانب و(علي الطويل)، و(زُهرة الطيب) وحكاية جِدها، والكيان الأسود الذي نراه يتجسد في شكلها هذا الجانب الآخر.

- هل تظن أن هناك رابطًا بينهما؟

- حينما تجهل طبيعة ما تواجهه، دع الظنون جانبًا واجعله يفصح عن نفسه بنفسه.

- أتقصد...

لم يكمل (وليد) سؤاله حينما رأى عيني (ديهوم) تتسعان وتحملقان في شيء أمامه، وارتعدت مفاصله لوهلة حينما رآها تقف في إحدى الزوايا فقال (وليد) بصوت مهزوز:

- «الشيخة زُهرة»؟

- ليست بمفردها الجميع هنا.

- الجميع؟!

- (نادية) تجلس أمامي وحولها (علاء)، وزوجته، (ميار) و(ميادة) والجميع يمسك اللحم النيء ويمضغه.

وهنا اقترب (ديهوم) من زميله وأمسك بيده وضغط عليها، وطلب منه أن يغمض عينيه ويردِّد: «هذا ليس حقيقي أنها تهيؤات»، ظلا هكذا حتى غاصا في نومٍ عميقٍ حتى الصباح.

بعد أن غادر المقدِّم (مصطفى) تبعه لأسفل الضابط (سامر) وهو يعيد الاتصال بالضابطين دون توقف، وحينما وصل مدخل العمارة بينما هو يقترب من الباب ليخرج، سمع صوتَ هاتف يرن فاستدار وعاد ليجد باب الغرفة السفلي مفتوحًا، ومصدرٍ الصوت يأتي من الداخل، فاقترب ودخل ليجدهما يجلسان أرضًا متكئين الظهر على الحائط وكلٌ منهما يميل برأسه على الآخر وما زال (ديهوم) يحكم قبضته على يد (وليد)، حاول إيقاظهما بشتى الطرق، مرة بالشد وهز أجسادهما، ومرة بالصياح وفي النهاية لم يستفيقا إلا حينما أتى بالماء وسكبه على وجهيهما فانتفض (ديهوم) قائلًا:

- آسف يا (سلمى) عما حدث...

- وما هو الذي حدثَ؟

نظر له باستغراب، ثم تفقد المكان بنظره وأدرك أنه ما زال بالغرفة السفلية منذ أمس، و(وليد) بجواره يحاول أن يفتح عينيه، فسأل وهو يفرك بعينيه:

- ما هذه الجلبة التي بالخارج؟

- الفتاة الصغرى للساكن (علاء) قامت بالانتحار أمس وذاعت هذا على بث مباشر على «الفيسبوك».

هَمَّ (ديهوم) واقفًا:

- أريد أن أرى اللواء (مصطفى).

- هو الذي ينتظركما بالمكتب لعقد اجتماع على وجه السرعة.

- ما الجديد؟

- يريد أن يغلق التحقيق بالحادث ويتم إخلاء العمارة من السُّكان.

فنظر إلى (سامر) عاقدًا حاجبيه وقال بغضب:

- هذا لن يحدث إلا على جثتي.

قالها ثم انصرف متوجهًا لسيارته وخلفه (سامر) وركب معه، بينما (وليد) اتجه ليستقل سيارته، واتجهوا ثلاثتهم إلى مبنى المباحث وفي الطريق قام (ديهوم) بسؤال زميله عن حالة ابنه، فأخبره عن مدى سوء الحالة التي وصل لها فطمأنه بأن قريبًا سيحضر له المال وأيضًا حل اللغز بات وشيكًا، فشعر (سامر) بأنه توصَّل لخيط مهمٍّ كشف له عن جزءٍ من الحقيقة فأجابه الضابط:

- ليس بالضبط هكذا، ولكن يمكن القول بأنها مجرد علامات بدأت تضيء، ولكني لم أمسك بطرف الخيط بعد ولكنه بات قريب.. قريب جدًّا.

وصلوا، ثم اتجهوا مباشرة إلى مكتب المقدِّم (مصطفى)، وحينما دخلوا كان قد أنهى مكالمته مع أحد القادة الذي أكَّد عليه أن يغلق ملف «عمارة الشيخة زُهرة»، وشدَّد أن هذا يحدث قبل ظهور جثة جديدة حتى لا تكون العواقب وخيمة على الكل، وسيكون هو الشخص الوحيد الملام على ذلك، بعد أن دخل الضباط وجلسوا نظر لهم بعينين متسعتين غاضبتين وقال:

- أين كنتم؟ إنه وقت جيد للاختفاء!

منذ أن دخل (ديهوم) وهو يحاول بصعوبةٍ أن يضع على وجهه ملامح باردة بلا أي انفعال، لأن لديه مطلبًا ويريد الحصول عليه بأي ثمنٍ، فبدأ حديثُهُ بتقريرٍ مُفصَّل لما حدث معهم داخل العمارة وخارجها مع (علي الطويل) في مكتبه عن قصة «زُهرة الطيب» وعن طلب إخلاء العمارة من السكان وبعد أن انتهى، مال الرئيس برأسه وقال بنبرته الرخيمة:

- وها هو نفسُ القرار الذي اجتمعنا الآن حتى نشرع في تنفيذه.

وهنا عقدَ (ديهوم) حاجبيه وهزَّ كتفه في لا مبالاة مصطنعة وقال باستغراب:

- هذا آخر شيء توقعتُ سماعه الآن.

- لا تبدأ هذه اللعبة معي يا (ديهوم) لقد سمعت بما يكفي اليوم... هات ما عندك حتى لا تستهلك الكثير من الوقت.

- هناك فاعل!

- قاتل متخفٍّ؟

- لا، نحن بصدد سفاح!

هنا تباطأت الأنفاس وهم ينظرون للضابط وعيونهم يملؤها الاستغراب والفضول، فقال (وليد) وهو ينظر له مبتسمًا في عدم فهم:

- مَن الذي يقول ذلك الآن؟ البارحة كنت أقنعك بذلك، وبعد الليلة الماضية وكل ما شهدناه يؤكد بأن الأمر به شيئًا غامضًا لا علاقة له بالبشر، ويجب إخلاء هذه العمارة من السكان حتى لا يصيبهم الجنون أكثر مما هم عليه.

- حاوِل أن تهدأ، ما أقوله ليس عشوائيًّا، ويجب أن نواصل الضغط على الجميع حتى نصل إلى السمكة الكبيرة.

شعر السيد (مصطفى) أن (ديهوم) وضعَ يدَهُ على خيطٍ، وبدأ في تتبعه فقال من تحت ضرسه:

- هل ترى أن رجل أعمال مرموق وظيفة ملائمة لسفاح؟

- حتى الآن لم ألقِ الضوء على شخص بعينه، وفي نفس الوقت لن أستثني أحدًا.

فتدخل (سامر) بفضول يعتري عينيه سائلًا:

- هل حدث شيء لم نعرفه بعد، على حد علمي حتى الآن جميع الضحايا لم يفعل أحدٌ لهم شيئًا، هم من قتلوا أنفسهم، وحقًا لم أعد أفهم على ماذا نضيع الوقت؟ في تحقيق لا فائدة منه وكأننا ندور في حلقة مفرغة.

الجميع ينظر إلى (ديهوم) ينتظرون تفسيرًا لما قاله، بينما هو ينتقي سيجارة جديدة من علبته والتزم النظر إلى عيني المقدم (مصطفى) وكأن نقاشًا جادًّا قد بدأ بينهما، ولكن في صمت، نظرة الضابط كان بها طلبٌ ملحٌّ لا يحتمل الرفض، بينما الرئيس محتارٌ بين قبول ما سيطلبه في اللحظات القادمة، وبين ما يريده رؤساؤه هو يعلم جيدًا أن (ديهوم) يتمتع بمخيلة استثنائية في عمله ولديه القدرة على جمع المعلومات حتى لو أنها رميت أمامه بطريقة الصدفة البحتة، فإن وضع يده على خيط نتن يتتبع رائحته حتى النهاية، عقله يربط المعلومات كشبكة متداخلة بطريقة سحرية هو نفسُه لا يعلم كيف تتكوَّن، بعد شهيق عميق وزفير تبعه سؤال المقدم (مصطفى):

- هل يمكن توضيح خطتك بإيجاز؟

- أرغب بالتواجد بعقر الدار لبضعة أيام.

قالها بسرعة دون أي محاولة منه لإخفاء خوفه من رفض طلبه وأخذ ينفث دخان سيجارته منتظرًا الإجابة، ولكن الضابط (وليد) لم يتركه يتمتع بألم الانتظار، فقال وقد بدأت العصبية تتخلل نبرات صوته:

- ألم يكفِك ما رأيناه أمس؟

- ربما رأينا ما يفترض بنا رؤيته، وهناك جانبٌ آخر يجب اكتشافه.

- لقد رأيت شبحَ «الشيخة» بنفسي.

- وأنا أيضًا رأيتُها ورأيت الكثير هناك، وبدر مني أفعال لم يجب عليَّ فعلها ومُلزم بأن أُكفر عن ذلك الخطأ.

- إذًا نحن الآن نجتمع حتى نريح ضمير سيادة الضابط.

اتسعت ابتسامته رغمًا عن (ديهوم) وقال باستفزاز متعمد:

- ألم ترَ أنت أيضًا هناك ما يؤنب ضميرك ولم تتخلص من ذنبه حتى الآن؟

خبط (وليد) بيده على المكتب وقام واقفًا بوجهٍ متدرِّجٍ فتدخل المقدِّم (مصطفى) بنفاد صبرٍ وهو يشير إلى (وليد) بالجلوس:

- الوضع لا يحتمل معاركة الأطفال تلك، أريد سببًا وجيهًا لطلبك يا (ديهوم).

نظر له (ديهوم) وحاول أن يستجمع ردًّا، لأنه لا يملك سببًا ماديًّا لطلبه غير أنه شعر بالذنب حيال الفتاة لما فعله معها، وتخلل عقله حدسٌ مريبٌ تجاه سكان العمارة حينما رآهم مجتمعين وتجاه رجل الأعمال وقصة «زُهرة الطيب»، وهناك حلقة بينهم يجهلها عقله، وهو يكره جدًّا هذا الشعور بالجهل ويصحبه يقين بأن هناك هاربًا من العدالة، يجب القبض عليه فنظر بحماس لعينيّ رئيسه وقال بأداء استعراضي مُبالَغ فيه:

- هناك مشتبهٌ به واحدٌ، له دافع وغرض ما.

- إذًا أنت لا تملك أي سبب فعلي لطلبك الذي تريد مني أن أجازف به أمام القيادات العليا، وأنا بمفردي من سيتحمل العواقب.

كان المقدم (مصطفى) يفهم لغة الضابط جيدًا، ويعلم بأن حدسه الجنائي أضاء له لمبة جهاز إنذار الخطر، وهذه النظرة التي كان يترقبها منذ أرسله إلى العمارة ولم يكن الدافع هو العثور على «الكاميرات» لأنه هو الآخر لديه نفس الشك منذ فترة بعيدة ولكن لم يفصح عنه، وها هو حصل على التأكيد، تأخر في الرد فحاول الضابط الارتجال بحماس:

- أعلم أن القرار بعد حادث الفتاة الذي رآه الملايين سيكون صعب اتخاذه، ولكن سأكون ممتنًا لسيادتك إذا تدخلت بيدين قويتين للمساعدة.

- كفاك ثرثرةً فارغةً، ودعنا نفكر كيف سنقوم بذلك ونحن نعلم جيدًا قبل أن نطلب سيكون الجواب الرفض.

قال (سامر) بهدوء وهو ينظر بهاتفه بينما الجميع يجلس على أعصابٍ مشدودةٍ:

- لا تخرق القانون عندما تقوم بخرقه.

تأفف (وليد) ساخرًا منه:

- حتى الآن لم أحدد موقفك، مرة تريد إنهاء التحقيق وأغلب الوقت تقف كالمتفرج بينما الآن تشارك بحل لاستكمال التحقيق!

- لا... أشارك الآن رغم عدم اقتناعي بما يريده، لأني أؤمن بهذه النظرة.

قالها (سامر) وهو ينظر إلى عينيّ زميله فتلاقت نظرات الضابطين وافتر ثغر (ديهوم) عن ابتسامة شكر، ثم عاد بنظره لـ (وليد) وبلهجة واثقة مكملًا:

- ثق في كلامي، لقد رأيتها من قبل في قضية شاب اسمه تامر، كان سيشنق ظلمًا لقتل زوجته وكل الشواهد والدلائل واضحة كالشمس وتقر بأنه المذنب الوحيد، ولكن (ديهوم) أصرَّ على حدسه وتتبعه حتى وصل للحقيقة، حينها كنت مثلك تمامًا أعارض لأن عقلي لا يستطيع تقبُّل ما يحدث منه بدون تفسير مادي.

- إذًا فأنا أطلب الانسحاب، وما دام القادم ينحصر في تواجده بالعمارة فلا دور لي فيما سيحدث.

زفر المقدم في ضيق ولكنه صمت مراعاة لعلمه أن دعمه الدائم لـ (ديهوم) يثير غيرة الجميع رغمًا عنهم، فوافق على طلبه ولكن أكد عليه أنه حالما يتطلب الأمر تدخلا سيعيده في أي لحظة وغير قابل للنقاش فأومأ الضابط بحنق ووجه متذمر بالموافقة ثم غادر، فقال (ديهوم) عقب غلقه الباب:

- إنه ضابط جيد وسيكون له مستقبل مميز.

- أعلم ذلك يذكرني بشخص ما في بدايته.

قالها المقدم فاتسعت ابتسامة على وجه الضابطين فأكمل:

- أتت لي فكرة بصدد الجملة التي قالها(سامر)، بما أن الجميع يريد رحيل السكان فدعنا نقول إنك ستتواجد خلال الأيام القادمة معهم محاولة منا بإخراجهم بطريقة ودية مراعاة للحالة النفسية التي يمرون بها، لأن إجبارهم على ذلك سيضر ولن يجدي نفعًا.

- ويمكن ببساطة أن نسرب ذلك إلى الصحف وستنطلق كالنار في الهشيم، وحينها سيكون أمرًا واقعًا حتى رجل الأعمال سيدعمه خوفًا على نفسه من البلبلة.

أضافها (ديهوم) لفكرة رئيسه وأكمل (سامر) بنبرة محبطة:

- (وليد)... ألن يتفوه ويثرثر بأنها رغبتك أنت؟

- لا، لن ينطق بحرف، سيلتزم الصمت ويراقب من بعيد منتظرًا الاحتفال بالفشل وإغلاق التحقيق على الوصول للاشيء.

- ألم أقل لك إنه يذكِّرني بشخصٍ ما في بدايته، لا تقلق يا (سامر) هو أعلَمُ منَّا بطريقة تفكير الشاب.

ضحك ثلاثتهم ثم أرسل (ديهوم) الخبر الذي يريده إلى صحافي محل ثقة وأكَّد عليه أن ينشر خلال دقائق، وكان له ما طلب وبعدها هاتفَ السيد (مصطفى) رجل الأعمال (علي الطويل) وأخبره بأنهم اتخذوا قرار غلق التحقيقات، ولكن رغمًا عنهم سيخلون العمارة بطريقة سلمية مع السكان خوفًا من زيادة اللغط، وأخبره عن آخر ما تصدَّر الصحف، فقام رجل الأعمال بتأييد قراره، وطلب منه المقدِّم أن يقدم يد المساعدة ويتيح للضابط مكان بالعمارة يمكث به حتى يحدث ذلك سريعًا؛ وافق رجل الأعمال على الفور وأخبره أن كل مفاتيح الشقق مع الحارس (عمار) يأخذ منها ما يشاء مؤكدًا أنه يريد أن ينتهي من هذا الكابوس في أسرع وقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٣)

« لا تظن بي السوء، بل تيقن أنني أسوأ مما تظن بكثير »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت (علياء) في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل، حينها كان الصبيَّان عادا من الخارج لقضاء الإجازة الأسبوعية معهما، بينما هي ذاهبة للحمَّام لم تجد (علي) في الغرفة ولا على مكتبه كعادته إن استيقظ في تلك الساعة المتأخرة، فأخذت تتنقل في الأرجاء بخطوات خافتة تبحث عنه حتى توقفت خارج غرفة الأبناء لتجد الصبي الكبير يجلس على حافة السرير مطأطئ الرأس وأبوه يقف أمامه يميل قليلًا بجسده للأمام عاقدًا ذراعيه خلف ظهره وكأنه يوبخه على خطأ ما، في أجواء غامضة مظلمة لزرع الخوف بقلبه، فانتفضت (علياء) ذُعرًا على ما رأت ولم تفسر سببه فتراجعت بخُطىً هامسة مثلما أتت ودخلت الحمَّام فشعر بها زوجها وخرج من الغرفة، وحينما خرجت وجدته عاد لغرفتهما ويستعد للنوم فسألته بجهل متصنع:

- أين كنت؟ حينما استيقظت لم أجدك بجواري!

- كنت أطمئن على الأولاد، هم دائمًا ينزحون الغطاء.

ظلت واقفة مكانها ليكمل حديثه ولكنه أنهاه دون التطرق لما تريد هي أن تعرفه، فنظر لها باستغراب وقال:

- لماذا تقفين هكذا! ألن تأتي للنوم؟

فعادت مشتتة الذهن زائغة العينين، تشعر بريبة معتادة تجاه (علي) ولكن هذا لم يكن سبب انزعاجها الأول، بينما عدم الوصول لسببٍ مُقنعٍ يفسر تلك الريبة والشك الذي يتملكها دومًا تجاه زوجها، فقد سئمت ذلك الشعور بدون أسبابٍ ملموسة، في صباح اليوم التالي بعد مغادرة (علي) البيت قامت بمهاتفة والدتها وهي منهارة تجهش بالبكاء وقصت عليها ما رأت لأنها خائفة على ابنها، لم تستوعب الأم ما تقوله ابنتها وأخبرتها بأنها ستأتي هي ووالدها على الفور، بعد مرور قرابة نصف ساعة لم تفعل فيهم (علياء) شيئًا غير أنها تسأل الصبي عما كان يحدث بينه هو وأبيه أمس ولكنه لم يفدها بشيء غير أنه لا يتذكر ما تتحدث عنه، إلى أن وصل والداها ووجدوها محمرة الأنف والعين، قابلتهما بكلمات سريعة بنبرة غاضبة لم تتوقف إلا بعد أن صاح أبوها بوجهها:

- كفاك افتراء على زوجك، لم نرَ منه إلا كل خير.

ثم قام بمناداة الصبي وقام بسؤاله بهدوء عما حدث، صمت الطفل قليلًا ثم تحدَّث فجأة:

- نعم! تذكرت ولكن لم يحدث مثلما سألتني أمي، لذلك لم أجِبها، بابا قام بشراء تلك الساعة التي طلبتها منه قبل أمس في الهاتف وكان يعطيني إياها.

قالها ومدَّ يده ليريهم الساعة الرقمية السوداء الجديدة التي قام (علي) بشرائها له، حينها نظرا الوالدان إلى (علياء) نظرة لوم، قامت هي بدفس وجهها بين راحتي يديها وأجهشت بالبكاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادر الضابط (وليد) مبنى المباحث وهو يشعر بفوران يغلي بداخله، ركب سيارته وأغلق بابها بعصبية وهو يتأفف وأدار المحرك وانطلق وعقله يفكر ولسانه يتحدث مع حاله، هل يعود ويصرخ بوجه (ديهوم) ويعنفه، ولكن لماذا فهو لم يفعل ضده شيئًا يدعو لذلك! لا بل فعلَ، أطاح به جانبًا ولم يتح له الفرصة ليثبت كفاءته! لا لم يفعل أيضًا، فهو كان يرافقه طوال الأيام الماضية. يريد أن يصرخ ليخرج غضبه ومن بين كل هذا كانت تتردد بداخله خِلسة، الجملةُ التي قالها له (الدرويش) وأكدت عليها السيدة (نادية) بأن الموت يلاحقه، ربما ما حدث من قليل كان خلاصه من شرٍّ محتَّم، أو أنه طلب الانسحاب خوفًا من هذا دون أن يدري قد فعلها عقلة اللاواعي؟ ما هذا الهراء هل سيصدق كلام دجال وامرأة خَرفة، ولكنه رأى شبح تلك «الشيخة» وأيضًا كلبه «بودي» أكيد هي من أتت به من عالم الأموات الذي تنتمي إليه، بينما هو يضغط على دواسة البنزين انتفض (وليد) فجأة ورفع قدمه عنها عندما رأى كلبًا يركض عرض الشارع على الطريق السريع وكاد أن يدهسه فأوقف السيارة جانب الرصيف وخرج منها لاهثًا، أوشك قلبه على التوقف، أخذ ينظر حوله على جانبي الطريق ولكنه لم يجد شيئًا، فحاول أن يهدئ أنفاسه مستندًا إلى سيارته.

اتجه (ديهوم) إلى منزله ليجهز حقيبة ملابس واحتياجاته الأساسية حتى يمكث بالعمارة ثلاثة أيام كحد أقصى، كما اتفق مع المقدم (مصطفى)، وبعدها إن لم يتوصل لشيء ستغلق التحقيقات رغمًا عن الجميع، ولن تكون لديه السلطة للتدخل أكثر من ذلك، بينما هو يرتب أشياءه لمحت عينه زجاجة الخمر ممتلئة لأقل من النصف، نظر لها لحظاتٍ يفكِّر يصطحبها معه أم لا وفي النهاية هي مَن فازت فدسها بين طيات الملابس ثم عاد وأخرجها حينما وقعت عيناه على صورة زوجته انتابته حالة من الحنين، دون أن يدري مدَّ يده وأمسك بالصورة ووضعها بدلًا من الزجاجة، ثم غادر الشقة وركب سيارته وقضى الطريق في القيادة والتفكير في الضابط (وليد) وتردد بذهنه هو الآخر الجملة التي أخبره بها (الدرويش) ومن بعده السيدة (نادية)، وأراد للحظة أن يتصل للاطمئنان عليه، ولكنه لم يفعل خشية أن يفهم الشاب المكالمة في هذا الوقت بالتحديد أنها استفزاز لشخصه فقام بمهاتفة (سامر) وبعد السلام قال بلهجة سؤال:

- هل أحضرت ما اتفقنا عليه؟

- نعم أتى بها العسكري منذ قليل، وكلهم على أعلى طراز.

- ممتاز.. أنا بالطريق سألقاك عند عمارة الأموات بعد نصف ساعة.

انحرف قليلًا عن الطريق المنشود حتى توقف ونزل من سيارته وقام باحتضان رجل خمسيني كان بانتظاره وأخذ منه كيسًا ورقيًّا كبيرًا وفتحه ونظر بداخله ليجد آلاف الجنيهات، وربت على كتف الرجل وقال باسمًا:

- لساني عاجز عن الشكر.

- لا تَقُل هذا يا (ياسر) نحن أصدقاء من أكثر من عشرين عامًا، ولا مرة خذلتني حينما كنت أحتاجك في أي أمر، هذا أقل شيء أقدمه لك.

- لا تقل هذا أنت أخي الكبير، أعِدُك أني سأردّ المبلغ كاملًا في غضون أيام.

- لا تحمل همًّا، حينما يتوفر معك يا صديقي.

وتبادلا حضنًا وربَّت كلٌّ منهما على ظهر الآخر، وركب (ديهوم) سيارته وغادر متجهًا إلى العمارة ليجد (سامر) يجلس مع الحارس (عمار) فابتسم ابتسامة عريضة رغمًا عنه وهو يصافحه فقال (سامر) رافعًا حاجبيه:

- نعم، خفت أن اقترب من هذه العمارة الملعونة بمفردي هل لديك مانع؟

- لا ليس لدي.

وأكمل ضحكته بصوت عالٍ، ثم قال وهو يمد يده بالكيس الورقي تجاه زميله:

- هذا المبلغ المتبقي لإجراء العملية.

- ولكن...

شعر للحظة أنه سيبكي شكرًا وفرحًا، فأمسك بيد (ديهوم) بكلتا يديه وضغط عليهما وقد تسربت عدة دمعات من عينه رغمًا عنه وهو يقول:

- عجز لساني عن الشكر، ولكنه سيبقى دينًا برقبتي لآخر يوم بعمري.

- أريد منك معروفًا.

فنظر له بعينين متسعتين، هذه اللهجة جديدة على (ديهوم) فأكمل:

- إن حدثَ لي مكروه داخل هذا المكان.

ثم نظر للعمارة مكملًا:

- حقي بين يديك أنت و(وليد) لا تتركه يضيع سدى.. حقًّا! حتى الآن، لا أعلم ما سأفعله خلال الأيام الثلاثة الآتية، ولكن ما أنا متأكدٌ منه سأبذل ما بوسعي للوصول إلى الحقيقة سواء خلفها إنس كان أو جن.

- هل تظن أن خلال ثلاثة أيام فقط، تستطيع أن تسيطر على كل هفوة ستحدث حولك.

- ليس هدفي السيطرة بل إطلاق العنان للمجهول حتى أراه.

فربَّت على ذراعه ثم تبادل الاثنان الحقائب، (سامر) أخذ كيس النقود بينما أعطاه حقيبة بها عدة «كاميرات» وآلات تسجيل سيقوم بزرعها داخل الثلاثة شقق وأخذ الموافقة على ذلك من المقدم (مصطفى)، ثم صعد مع الحارس (عمار) إلى الشقة التي سيمكث بها، المقابلة للسيدة (نادية)، وبينما هما على الدرج توقف (ديهوم) ثم قال:

- هذا الباب الوحيد الأكثر قتامة من بين البقية.

- إنها شقة «الشيخة زَهرة» اللهم احفظنا.

فأكمل مع إيماءة رأس:

- هل لديك مفتاحها؟

- معي كل مفاتيح الشقق المغلقة إلا هذه، يحرم على الجميع دخولها من بعد وفاتها، وقد لصق عليها شمع أحمر لعدم الاقتراب.

نظر له الضابط ولم يعلِّق بكلمة وأكمل صعوده إلى الشقة المقصودة والتي كان بالفعل قام الحارس توضيبها للضابط وطلب منه أن يحتفظ بنسخة من المفتاح معه حتى يأتي في الصباح بكل متطلباته من أكل وغيره، لم يكن هذا السبب الذي جعل (ديهوم) يطلب ذلك من الحارس؛ بل إحساس الخوف الذي سرى بين مفاصله حينما دخل وراح يقلب بتفاصيل الشقة وهو يجوبها طولًا وعرضًا، وشعر لوهلة أنه سيتعرض لمكروه بها، وحينها تسمر بمكانه كالصنم؛ فقد خُيلت له نفسه وهو ملقى في أحد الأركان والدماء تحيطه بينما هي بجواره وتقترب من جثته بفمها الضبابي الصارخ وتصب سوادها بفمه، ومعها ظهر الخوف على وجهه فحاول أن يكبحه على الأقل أمام الحارس الذي تعتري وجهه ابتسامةٌ لا مبالاة، فدسَّ يده بجيبه وأعطى له إكرامية سخية ثم تقدَّم الخطى معه إلى خارج الشقة، فنظر له الحارس مستغربًا فأجابه قبل أن يسأل «سأقوم بزيارة سريعة للسيدة نادية» فأجابه الحارس بثقة العارف بما يحدث خلف جدران:

- إنها الآن مشغولة، لقد أسدلت الستائر.

- وماذا يعني ذلك؟

قالها بلهجة ضاحكة فأجابه الحارس بتلقائية:

- تقوم بتصوير فيديو «التوتوب».

فضحك (ديهوم) بصوت عالٍ وقال:

- «اليوتيوب»... تقرأ الكروت؟

- تمااام، الكروت المرسوم عليها حيوانات.

- سأمُر عليها، لربما أنهت ما تفعله.

وهنا رحل الحارس وعاد الضابط للشقة، وقام بفتح الشنطة التي أخذها من (سامر) وأخرج واحدة من «الكاميرات» وواحدة من أدوات تسجيل الصوت واتجه إلى الخارج، وقبل أن يضغط على زر الجرس، وجدها تفتح الباب وتقف أمامه بابتسامتها الودودة التي غابت عن وجهها آخر مرة رآها بها وقالت بإيماءة مرحبة:

- تفضل بالدخول لقد أنهيت تصوير... سمعتك أنت و(عمار) تتحدثان منذ دقائق على السلم.

دخل خلفها وبينما هو يمشي كانت عيناه تتجولان هنا وهناك بين الضوء الشحيح، كل النوافذ مغلقة، مسدلة الستائر، فذهبت السيدة تزيحها واحدة تلو الأخرى وهي تقول:

- هل تعلم أن الجميع يولدون مزودين بموهبة ما؟

- ربما! ولكن هناك الكثير أتوا الحياة ورحلوا «لا هم كسرى ولا قيصر».

- لا! هم فقط لم يعملوا كفاية ليجدوا شغفهم، ولكن كان لديهم.

أشارت له بأن يجلس حول طاولتها التي تملؤها الشموع وكروت التاروت المنمقة المقسمة إلى مجموعات، ثم دخلت إلى المطبخ وأتت بصينية دائرية متوسطة الحجم عليها موقد كحُولي نحاسي وعلبة بها بُن وواحدة بها سكر وبيدها الأخرى زجاجة مياه، وبينما هي في الداخل قام (ديهوم) بلصق أداة التسجيل على يد الكرسي بحركة مستترة بطرف إصبعه فغاصت بين وبرة القماش القطيفة، لأنه لا يدري هل هناك عيون بشرية أو غيره ترصده أم لا، ثم جلست السيدة ووضعت الصينية ثم فتحت أشرطة الدواء وابتلعت أقراص دواء متعددة فسألها بفضول:

- أنتِ تتناولين الكثير من الأدوية، بالرغم من أنني أراك بصحة جيدة... لا بل أنتِ الوحيدة التي تتمتعين بها في هذه العمارة.

فأجابته وهي تبتلع آخر حبة:

- كلها أدوية تعمل على إصلاح الحالة النفسية من الاكتئاب، ومهدئات وأقراص منومة، عرَضت أكثر من مرة على علاء وزوجته أن يتناولوها لتحسين الحالة الصعبة التي وصلوا لها ولكنهم استسلموا للخوف حتى أصبحوا مثل الأموات.

صمتت وابتسمت ثم ضحكت وهي تسأله:

- لماذا تنظر لي هكذا؟

فأجابها بنظرة باسمةٍ وشرودٍ:

- هناك ألفة تحلُّ بي تجاهك كل مرة أراكِ بها.

ثم صمت (ديهوم) لحظة وقال:

- ماعدا آخر مرة!

فنظرت له السيدة وقد ترقرقت عيناها بالدموع وهي تخبره بأسى، إن من بين ابتسامة (سلمى) الواهنة ووجوه عائلة (علاء) الشاحبة ودموع وارتجافة (سعيد) يوجد فضول امرأة روحانية تريد أن ترى ما يرونه، وهذا سبب وجودهم بالأسفل ليس أكثر.

أخذ نفسًا عميقًا وزفيرًا طويلًا مع ابتسامة وهو يتناول منها فنجان القهوة الذي أعدته له:

- وما الفائدة من رؤيتها؟ يكفي أنك تعلمين بوجودها.

- ولماذا برأيك أتناول كل هذه الأدوية، حتى يهدأ هذا عن التفكير في «الشيخة زَهرة».

قالتها وهي تضع إصبعها السبابة جانب رأسها وتشير تجاه عقلها وأكملت:

- لولا هذا كنت سأصبح مثلهم شَبه المسخ، وماذا كنت ستفعل أنت لي أو غيرك، تأتي إلى هنا تتملقني بنظرة شفقة وترحل خاوي الوفاض.

وهنا شعر بأن السيدة على وشك الانهيار، حاول أن يغير الموضوع بآخر من اهتماماتها فسألها «ألن تقومي بقراءة كروت التاروت اليوم»، فسرعان ما تبدلت ملامحها بأخرى مبتسمة، وعيون لامعة، وهي تمسك بالكروت وتقوم بتوزيعها على الطاولة، وبينما هي تفعل ذلك أخبرها بأن مالك العقار (علي الطويل) يريد أن يرحل الجميع عن هنا، وسيقوم بتعويضهم بشقق أخرى، فعقدت حاجبيها وأخبرته بأن (عمار) الحارس أخبرها بما يريد من قبل، ولكنها لن ترحل عن شقتها قبل أن تراها فهذا هو الحدث الوحيد الذي سيعوضها عن ترك ذكريات عمرها بين الجدران وترحل حتى لو وصل الحال أنها ستبقى بمفردها بالعمارة، وهنا افتر ثغره عن ابتسامة شُكر، لأن إجابتها هدأت قلبه، وأن الحال لن ينتهي قريبًا، ولن تنقطع عنه الخيوط لفهم المجهول على الأقل ستمنحه المزيد من الوقت، وقال لها بصدر رحب «هيَّا نبدأ، ماذا تحمل لنا هذه الكروت» ظلت دقائق تنظر للورق ثم تحولت ملامحها للاقتضاب وهي تقول:

- بعضها لا ينبئ بخير، هذه تسمى (بطاقة العالم) ولكنها أتت في الوضع المقلوب.

قالتها وهي تمط شفتيها، فسألها وقد قدح الفضول مع ضحكة عالية على وجهه:

- مع أن بها رسمة لامرأة عارية.

- هذه المرأة العارية تعني أنك لا تزال مرتبطًا عاطفيًّا بعلاقة من الماضي، أنت بحاجة إلى التخلي عن الماضي والمُضي قدمًا.

مرت أمامه صورة زوجته وتلاشت معها الابتسامة، وحينها رأت السيدة ملامحه تتبدل فلحقته بالبطاقة الأخرى قائلة:

- هذه البطاقة أفضلهم (two of cups) تعني الحب والجذب المتبادل.

وهنا تبدلت ملامحه لتصبح أكثر قتامة وهو يقول بحنق:

- لا يوجد ما تحكي عنه.

- ليس بالضروري تكون علاقة عشق، ربما تكون شراكة عمل أو صداقة ذات منفعة متبادلة، وستخلق حالة من الفوز للطرفين.

قالتها وهي تشير إلى الكأسين المرسومين في البطاقة، ثم تركتها وأمسكت بأخرى وقالت بهمس وهي تميل عليه:

- هذه (بطاقة القمر) ستكشف لك الكثير من الأسرار فلا تخف واتبع حدسك.

ثم عرضت عليه أن تحضر له فنجان قهوة آخر وهي تجمع الأربع بطاقات من على الطاولة وهو لم يسألها عن البطاقة الأخيرة ماذا تحمل، ربما لأنه لا يريد تصديق كلمة مما تقوله السيدة، فشكرها على الضيافة وشربَ كوب ماء ثم ألقى السلام عليها. وبعد أن غادر قامت بإخراج البطاقة التي لم تقرأها وتمتمت بهمس: «(بطاقة الشيطان)»، وهي تنظر بالصورة التي تتمثل في مخلوق نصف إنسان ونصف ماعز يمتلك هذا الشيطان أجنحة خفاش مصاص الدماء يمتص شريانَ الحياة من فرائسه، فوقه نجم خماسي مقلوب وفي يده اليسرى يحمل الشعلة المضاءة ورددت بيأس: «لا مفر من القدر».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٤)

«القاتل الماهر لن يتوارى عن الأنظار بل سيقف في المقدمة ويبتسم»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن غادر (ديهوم) شقة السيدة (نادية) بعد أن تأكد من أنها الآن تحت المراقبة، صعد إلى الساكن (علاء) الذي فتح الباب بعد العديد من الأجراس، وحينما رآه (ديهوم) ارتعدت مفاصله لوهلة، لقد تدهور حال الرجل أكثر مما كان عليه، يكاد يتحكم في ساقيه المرتعدتين بدا أكثر نحافة لدرجة أن وجهه لم يعد به إلا بروز عظام جمجمته حرفيًّا، قام بحلق رأسه وترك بها العديد من جروح الحلاقة فأصبحت الأقرب للتشوُّه، يأخذ أنفاسه بصعوبة مثل مرضى الربو عند الأزمات ولونه كان شاحبًا كالموتى، استغرق الضابط في النظر بصمت للرجل دقائق فحاول إخفاء توتره وقال بلهجة هادئة تتخللها نبرة حزن:

- تعازينا على مصابكم!

فأومأ (علاء) برأسه وعاد خطوة ليفسح المجال للضابط الذي دخل ولم يجد غير الظلام في جميع أركان الشقة، وبعد أن دقَّق النظر وسبقه (علاء) بخطوة فوجد الزوجة تجلس كعادتها على الأريكة وابنتها (ميادة) بجوارها وانضم إليهما الرجل، فجلس (ديهوم) على الكرسي المجاور. مرت فترة والجميع مُلتزم الصمت وأفراد العائلة ينظرون في الفراغ دون حراكٍ، فحاول أن يحرك جلسته ليلفت انتباههم، ولكن دون جدوى فشرع بالحديث وهم يحملقون بعيدًا عنه قائلًا:

- الخوف الشديد يوهن العقل ويسبب له شللًا يحرمه من التفكير المنطقي، ويجعله عاجزًا عن اتخاذ قرار صائب، لماذا لم تطلبوا مساعدة من طبيب نفسي مثل السيدة (نادية) فالأدوية تساعدها كثيرًا؟

ثم صمتَ لوهلة وأكمل:

- رجل الأعمال (علي الطويل) يريد أن يرحل جميع السُكان من هنا، وسيقوم بالتعويض بمكان آخر أكثر أمانًا من هنا.

لم يجد بادرة للرد حتى لو بإيماءة بسيطة، ففكَّر بأن يطلب من أحدهم كوبَ ماءٍ حتى يتمكن من زرع أجهزة المراقبة، ولكن ماذا سيفعل مع المتبقي منهم، وبعد مرور فترة أخرى شعر خلالها الضابط بالملل فقام بوضع أجهزته بسلاسة ولا أحد منهم التفت ولا الظلام يعكس حركته، وبينما هو يضع اللمسة الأخيرة ويعيد ظهره للكرسي شعر بشيءٍ غريبٍ يطوف بالمكان حتى استقرت أمامه مواجهة له فانتفض ناهضًا وسقط فوُهُ وزاد اللعاب بفمه عاد أدراجه حتى اجتاز الخطوات القليلة التي تفصله عن الباب وفتحه وغادر مرتجفًا ثم توقف ممسكًا بدرابزين السلم حتى هدأت حركة صدره صعودًا وهبوطًا، وشعر بالحيرة وهو ينظر إلى مفتاح الشقة الذي أخذه من عمار الحارس، هل ينزل يتفقد الشقة ليجدها معه داخلها أم يصعد إلى (سعيد) ليتم آخر مهامه وعلى الأقل حينما ستظهر سيكون هناك أحدٌ معه، ثم أخذ نفسًا عميقًا وزفر وهو يردِّد: «هذه تهيؤات لن أسمح لها أن تستحوذ على عقلي مرة أخرى».

ثم هبط الدرج وخرج من العمارة، ووقف أمامها ليستنشق الهواء البارد ليثلج عقله به، ثم اتجه إلى الصيدلية وقام بشراء منوم مسموح به، وحينما خرج قام بابتلاع قرصين دون ماء، وبعد أن هدأت روحه قليلًا وظلَّ يتثاءب، صعد إلى الشقة التي سيَبيت بها. وحينما دخل قام بفتح كافة الأنوار، وحاول أن يغلق أذنيه وعقله عن أي خيالات تحوم جانبه، حتى إنه لم يأخذ حمامًا ساخنًا في آخر اليوم كعادته واكتفى بتبديل ملابسه بأخرى للنوم، وصعد على السرير واستلقى على ظهره وظلَّ محملقًا في السقف حتى رن جرس هاتفه، فانتفض مفزوعًا معه والتقطه ليجد المتصل (سامر)، وعندما أجابه ردت عليه زوجته وقامت بشكره على ما فعله معهم ثم بدأ الحديث مع (سامر) الذي بدأ كلامه بصوت خافض:

- أريد الاطمئنان عليك، وبينما نتحدث حاول ألا تفصح عما تقوله باستفاضة لربما يوجد في الشقة أجهزة مراقبة مثل التي وجدناها في مدخل العمارة.

- كل شيء تحت السيطرة.

علا صوت (سامر) بضحكة لعلعت وهو يقول:

- آخر مرة سمعت منك هذه الجملة كنت في مصيبة.

- هل تعلم ماذا فعلت منذ قليل؟

ثم صمت وقال بنبرة لائمة:

- لن أقول لك... أنت لا تحفظ سرًا، في الصباح ستعرف المباحث كلها ما سأخبرك به.

جزَّ (سامر) على أسنانه وقال بصوت مختنق:

- هذا جزاءُ اتصالي للاطمئنان عليك.

- وهل أنا قلت شيئًا خاطئًا؟

لم يبالِ (سامر) وتابع سائلًا:

- صوتك به توتر، لماذا لم تستجب لطلب المقدم (مصطفى) بأن تضع مسجل الصوت على الأقل معك في الشقة ليتمكن الضباط من متابعة ما يحدث معك لحظة بلحظة؟

- ليس هناك سبب بعينه، ولكن ربما أردت أن تنقضي الثلاثة أيام معي على سجيتها.

قالها (ديهوم) وهو يتثاءب، ثم أنهى المكالمة وسقطت يده ومعها الهاتف بجواره على الفراش حتى عصر اليوم التالي، بينما يفتح عينيه بصعوبة ويصارع عقله ليستفيق من نوم طويل ليجد أمامه الحارس (عمار) بضحكته وأسنانه العريضة وهو يقول:

- هذه المرة الثالثة التي آتي فيها الشقة لإيقاظك يا «باشا».

ابتلع (ديهوم) ريقه بصعوبة وألم الصداع كان يطرق جمجمته، فقال بصعوبة وهو يضغط بأصابعه على مقدمة رأسه:

- ثلاث مرات! لماذا؟ هل حدث شيء؟

- لا لم يحدث، ولكن الساعة الآن الرابعة عصرًا و(سامر) باشا اتصل بي عدة مرات للاطمئنان عليك وحينما عرف أن لدي مفتاح الشقة طلب مني أنا أصعد لإيقاظك.

- ممكن أن تحضر لي كوبًا كبيرًا من القهوة؟

- سيادتك تأمر.

قالها عمار وانصرف، بينما حاول الضابط أن يعتدل في جلسته، وأمسك بهاتفه وقام بالاتصال بـ (سامر) بعد ما وجد اتصالاتٍ عديدة منه، بعد أن ألقى السلام، سأله زميله عن سبب ساعات النوم العديدة، فأجابه بصعوبة ومع كل حرف ينطق به كانت عيناه تتجعدان من الألم:

- لقد تناولت عدة أقراص منومة.

- لماذا فعلت ذلك، بعد كل ماسعينا خلفه تأخذ أدوية لتنام.

فأجابه بحنق:

- يكفي ما أنا فيه.

فقال (سامر) بغيظٍ حاول أن يخفيه:

- ليس لديك متسعٌ من الوقت، اليوم الثاني لك وغدًا الأخير وطِبقًا لما يجري أمامي هنا من أحداث تتعلق بالعمارة لن تستطيع المكوث عندك ساعة إضافية بعد غد.

فأجاب (ديهوم) بثقل لسان:

- أعرف هذا جيدًا ولكن على كُلٍّ، لا اعتقد أن العمارة ستُخلى من السكان بسلاسة، مثلًا السيدة (نادية) ترفض تمامًا فكرة الرحيل من هنا ومثلها السيد (علاء) وأسرته، لا أعتقد أن لديهم المقدرة في هذه الحالة الصعبة أن يغادروا من هنا وينضموا للعالم الخارجي.

ثم صمت لحظات وعاد قائلًا:

- هل هناك جديد؟

- لا! الضباط يتابعون، ولم يحدث حتى الآن شيء غريبٌ، ولكن كما تقول، حينما نرى عائلة (علاء) نشعر أننا نشاهد فيلم رعب لا يتحركون ينظرون طوال الوقت في الفراغ.

وهنا دخل عمار بكوب القهوة، وأنهى (ديهوم) المكالمة مع (سامر) بعد ما أكَّد عليه أن يخبر الضابط (وليد) أنه بانتظاره اليوم ليمر عليه في العمارة، وليحاول أن يتأخر قدر المستطاع حتى يصل بعد أن يكون قام بزيارة الساكن (سعيد) وبعده (سلمى)، وحينما سأله (سامر) عن السبب أخبره أنه يشعر

بالذنب حياله، وأنه رآه الليلة بمنامه، ولكنه لم يستطع تذكر الأحداث، وبعدها أعطى لـ (عمار) نقودًا ليأتي له بالطعام فأخذها وغادر الشقة وبدأ (ديهوم) في ارتشاف القهوة، وفجأة مرت صور متلاحقة بذهنه كلها عن الضابط (وليد) وهو مُلقى على الأرض والدماء تحيطه بينما هي بجواره وتقترب من جثته بفمها الضبابي الصارخ وتصب سوادها بفمه، وهي نفس الصورة التي رأى فيها نفسه من قبل فسقط من يده كوب القهوة فزعًا حينما وجَّهَت وجهها له فجأة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٥)

«تتبع الجاني بالسلاح الذي يخشاه هو، وليس أنت»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأت الصحافة تكتب بشكل مباشر وبأسماء محددة لم تجرؤ على ذكرها من قبل عن حوادث الانتحار في «عمارة الشيخة زُهرة» وعلاقة رجل الأعمال (علي الطويل) بها، وبدأ بعض رجال الأعمال، الذين يحملون الضغينة له، يتهامسون مع الباقي بأن له دخل بما يحدث في بنايته بل وبعضهم كان يدفع المال للصحافة حتى لا تتوقف عن ذكر اسمه بين سطور مقالاتها الصفراء، وهنا وجد (علي الطويل) الدائرة تضيق عليه من الأخبار التي تتداول عنه وتزيد يومًا عن يوم؛ فقرَّر أن يفجر القنبلة ويضرب كل الألسنة في مقتل، فقام أحدٌ من قبله بالاتفاق مع أكثر من جريدة وموقع إلكتروني والقنوات التلفزيونية التي لديها برامج لها كلمة مسموعة، من مذيعين لهم ثقل بعمل حملة دعائية لصالحه، ويكون أهم نقاطها اللعب على الجانب العاطفي للمؤيدين له، بذكر أعماله الخيرية العديدة والجمعيات الشهيرة التي أسسها، ولولاه لما كان لها وجود هذا بالإضافة إلى مشواره العقاري المثمر، وبالنهاية يشعلون الفتيل بإشاعات تحوم حول المشروع العقاري القومي الذي سيقوم بإنشائه تحت إشراف الدولة.

الحال أيضًا تأزم ووصل لمنتهاه داخل مقر المباحث، وضاق بالمقدم(مصطفى) الحائل بين الجميع وبين خروج (ديهوم) والسكان من العمارة وغلق هذه الصفحة نهائيًا، وفي ظِل تناثر الشائعات هنا وهنا على رجل الأعمال وضغط القيادات عليه، استقر الجميع بأن أمامهم أربع وعشرين ساعة يبلغون فيها السكان بحزم أمتعتهم والخروج الجبري من العمارة وليس هناك مجال للاعتراض؛ لأنه حتى لو عرض أحدهم كتابة إقرار منه للبقاء وأنه سيتحمل المسؤولية كاملة، فهذا غير واردٍ لأنهم جميعًا يندرجون تحت بند غير مؤهلين لهذه المسؤولية.

ما زال يتتبع مسؤولي المراقبة كل ما يحدث مع السيدة (نادية) وعائلة السيد (علاء)، وحتى الآن يجلسون كما هم، لا يفعلون شيئًا غير التنفس، ولكن طرأ حدثٌ مُهِمٌّ مع السيدة (نادية) فذهب أحدهم للضابط (سامر) ليخبره بأن المرأة قامت بالاتصال بأحدهم وتكلمت وهي ترتجف وتبكي وتتوسل إليه أن يأتي ويتصرف فهي لن تغادر العمارة، لأن سبب بقائها على قيد الحياة حتى الآن هو وجودها هناك، فقام الضابط بمهاتفة (ديهوم) وأخبره ما حدثَ، وكان الأخير قد أنهى تنظيف القهوة التي انزلقت من يده فقال له ما حدثَ من السيدة فكتم الضابط أنفاسه للحظةٍ، ثم راح يتمتم في خفوتٍ: «كم أنا أحمقَ!» فقال (سامر) سائلًا وهو يضيق عينيه:

- ماذا قلت؟

- فيما بعد، هل الجميع بخير؟

قالها (ديهوم) محاولًا التمويه من جانبه عما يتحدث الضابط عنه، ففهم الآخر وأكمل:

- المقدِّم (مصطفى) يريدك أن تخبر الجميع بأنه سيتم الإخلاء الجبري غدًا ولا مجال للنقاش.

بدا (ديهوم) مرتاعًا لما سمعه، وقبل أن يسأل أكمل زميله:

- لقد طرأ جديد اليوم، الصحف قامت بتضيق الأمر علينا وعلى ما يبدو بأن (علي الطويل) هو من قام بذلك.

- لا أجد كلمات تعبِّر عن مدى الضيق الذي أشعر به، لقد نفدَتْ سجائري.

ففهم (سامر) بأنه سيقوم بمعاودة الاتصال به حينما ينزل ليشتري سجائر، فأنهى المكالمة، وبعدها قام (ديهوم) وأخذ حمامًا ساخنًا وارتدى ملابسه وحينما خرج وجد الحارس قد وضع الطعام الذي اشتراه على الطاولة، فوقف (ديهوم) مستنكرًا ورافعًا حاجبه وهو يتمتم: «أين أنتِ أيتها العجوز الشمطاء، لم تظهري اليوم بعد»، ثم توجه للطاولة وقام بوضع الجبن على قطعة الخبز وأمسكها وأخذ يقضم فيها، ثم اطمأن على أجهزة المراقبة المتبقية للساكن (سعيد) و(سلمى) في مكانها بجيبه، ثم هبطَ الدرج متوجهًا إلى المحل واشترى علبة سجائر، وبعد أن أخرج واحدة وأشعلها، ومع أول نفس وقف مغمض العينين منتشيًا كأنه أول لقاء حميمي بين رجل وزوجته بعد غياب طويل، ثم تقدَّم وقام بمعاودة الاتصال بالضابط (سامر)، وقبل أن ينطق قال له (ديهوم) بصرامة:

- كم نحن أغبياء؟!

- وما الجديد كل تحقيق تخبرني هذه الحقيقة.. ماذا حدث؟

- لماذا لم نتتبع المكالمات التي تحدث من هواتف السكان؟

- لأننا صببنا كلَّ الاهتمام بـ (علي الطويل)، إنما السكان فهم حتى الآن مفعول بهم، فلماذا يخطر لنا القيام بذلك هذا غير...

- دوامة الخوف التي دخلناها جميعًا وألهتنا عن الأساسيات، ولكن دَعْنَا نقوم بها الآن فلتأتِ بكل الأرقام التي يتحدث إليها الجميع وخاصة تلك التي تتكرر، بانتظار هذا التقرير بعد ربع ساعة من الآن.

- ولكن...

- لا وقت لدينا يا (سامر) الدائرة ستغلق علينا قريبًا.

ومنها أسرع الضابط في الحصول على المعلومات المطلوبة وعاد الآخر إلى العمارة، وكلما صعد درجة تلفت يمينًا ويسارًا كأنه يبحث عنها ثم لعلع صدى ضحكته على السلم وتمتم: «لا تقلق يا (ديهوم)، ربما حدث معها مكروه وهي عند مصفف الشعر»، ثم أكمل صعودًا حتى وصل إلى شقة (سلمى) وطرق بابها ولكنها لم تفتح له، شكَّ للحظة أنها لا تريد أن تفتح عمدًا وخوفًا من أن يتطاول عليها مرة أخرى، فشعر بالارتباك، ولكنه لم يقف طويلًا وأكمل صعوده ففتحت السيدة (نادية) من تلقاء نفسها فألقى الصباح عليها فقالت:

- تقصد مساء الخير!

فابتسم، وهَم على استكمال طريقه صعودًا ولكنها قاطعته وأكملت:

- يبدو أن الأدوية فعلت تأثير مضاعف.

- لا، بل أنا الذي تناولت حبات مضاعفة.

قالها عاقدًا حاجبيه، وقبل أن يكمل سؤاله أجابت السيدة ولأول مرة يراها تتحدث بتوتر:

- لقد رأيتك أمس من الشرفة وأنت تتناوله أمام الصيدلية.

- استطعتِ الرؤية برغم المسافة؟

- المسافة ليست بعيدة.

نظر لها باستنكار فأشاحت بنظرها بعيدًا وهي تقول بصوت مهزوز:

- الشاب الذي يعمل بالصيدلية علاقتي به جيدة ودائمًا أقوم بالاتصال به ليحضر لي الدواء.

- فقمتِ بالاتصال لتسألي ماذا أخذت منه؟

أجابته بإيماءة تشير بأنها قد فعلت ذلك، ثم تراجعت خطوة لتغلق الباب فقال:

- أحب الصراحة الزائدة.

ثم أكمل صعوده وهو يهمس من تحت ضرسه: «فهي تخفي بين طياتها الكثير»، ثم أخرج هاتفه وأرسل رسالة نصية إلى (سامر) ليرسلها للضابط (وليد)، وحينها وصل لمقصده ورن جرس باب (سعيد) الذي ساءت أحواله هو الآخر وزادت رعشةُ يدِه، أصبح جسده ينتفض تباعًا لها وفتح الباب وهو يرتدي القطعة السفلى من ملابسه الداخلية بالرغم من برودة الجو وجسده النحيل مليء بالبقع الزرقاء وأخرى سوداء إثر كدمات على ما يبدو، فاستأذنه الضابط للحديث معه فرحَّب الرجل وأفسح له المجال حتى دخلَ وجلس على الكرسي وعرض عليه أن يحضر له كوب شاي ساخن ليشعره بالدفء لأن اليوم به رياح باردة فأجابه (ديهوم): «نعم»، مع نظرة استغراب بين ما يقوله وما يرتديه، ثم بعد أن غاب الرجل من أمامه قام بوضع أدوات المراقبة الدقيقة وكأنه يتحسس الأثاث مثلما فعل من قبل، ثم قام واتجه نحو النباتات وظلَّ يداعب أوراقها حتى أتى الرجل بكوب الشاي الذي سكبَ معظمه من رجفة يده هو وكوب الماء، شربَ الضابط ما تبقى في الكوب وكان الشاي بدون سكر فلم يرد أن يتعب الرجل بسرواله الداخلي وتدهوُر حاله أكثر من ذلك، واكتفى بشرب كوب ماء ليغيِّر مرارته، ثم أكمل حديثه معه عن النباتات سائلًا:

- هذه النبتة حقًّا شكلها غريب وجميل!

- نعم! جميلة جدًّا اسمها (SAM) هي تتحدث معي طوال الوقت لا أمل منها ولا هي أيضًا.

ثم تحسَّس إحدى الأوراق بأصابعه ومال برأسه عليها وقال للضابط:

- هيَّا اقترب منها واسمع ما ستقوله لك.

فمال (ديهوم) على النباتات وتجعدت ملامحه واعتدل سائلًا:

- مِن أين يأتي صوت قطرات الماء؟

وهُنَا لمح عدة مواسير متشابكة خلف أحواض الزرع فقال مندهشًا:

- ما هذه الشبكة الصلبة؟

- لقد أخبرتك من قبل أنها لري النباتات.

- أراك تهتم بها كثيرًا.

- لولاها لما كنت محافظًا على وجودي في الحياة حتى الآن.

وبعدها استأذن (ديهوم) للرحيل واتفق معه بأنه إذا أُتيحَ لديه المزيد من الوقت اليوم سيمرُّ عليه حتى يخبره أكثر عن النباتات وشبكة الري، وأيضًا أخبره أن يحاول جمع أغراضه المهمة، لأن الشرطة ستقوم بإخلاء العمارة من جميع السكان غدًا، سمع الرجل وكأنه أصم لم يبدِ أيَّ ردة فعلٍ غير محاولة بائسة للابتسام.

غادر (ديهوم) وهبط الدرج متوجهًا إلى شقة (سلمى) وهو يحدِّث نفسَه: «ما الفائدة من المراقبة فكلها عدة ساعات وكل الحقائق ستدفن تحت الأنقاض»، وفجأة توقف وارتفعت حرارة جسمه وتملَّكته رجفة المحموم في لحظات بعد أن رآها أمامه بعباءتها السوداء، وتبدَّلت وضعية فمها من الصارخ إلى الضاحك ويا ليته لم يتغير، فأصبح شكلها أكثر رعبًا وبشاعة، فظلت تتراجع كلما نزل درجة حتى وصل أمام شقة (سلمى) فاندمج طيفها مع الباب حتى تلاشت بداخله فهرع إلى الجرس وظلَّ يضغط عليه ولكن بلا إجابة. اقترب من الباب بحذرٍ ألا تظهر من خلاله مرة أخرى، ثم حاول أن يسترق السمع ولم يصلِ لشيء بل التقط أنفه رائحةً غريبة تتسرب من عقب الباب، وبعد لحظات ميَّز أنها رائحة غاز، ظلَّ يخبط الباب بكتفه لفتحه، ولكنه لم يفلح حتى قام بمهاتفة (عمار) الحارس وسأله عن إن كان معه مفتاح شقة (سلمى)، فوجده يملك نسخة، وبينما هما يتحدثان كان (عمار) يصعد السلم بهرولة تجاه الضابط بعدما سمع الفزع بصوته، حينما وصل أخرج سلسلة المفاتيح وجرب واحدًا لم يكن هو ثم دقَّق النظر وركز على أشكالهم حتى أخرج واحدًا آخر وحينما وضعه بالمقبض انفتح الباب لتهبّ معه رائحة الغاز القاتلة، فاتجه عمار إلى المطبخ ليغلق أنبوب الغاز ليمنع التسرب منه وهرع (ديهوم) إلى باقي أنحاء الشقة يبحث عن (سلمى) حتى وجدها تجلس أرضًا في أحد الجوانب ووجه محتقن من رائحة الغاز الذي على ما يبدو لم تميزها هي حتى الآن، فكانت نظراتها تتجه إلى أحد أركان الغرفة حيث تسجِّل حركة عينيها تتبعًا لشيء ما تراه هي دونه هو و(عمار) الذي انضم إليه توًّا، في تلك اللحظات بدأ لونها يشحب وبدت قسمات وجهها غير مرتاحة وكأن شيئًا بشعًا يؤرقها فاقترب (ديهوم) منها ونزل على ركبتيه وقال لها بهمس وهو يتلفت تجاه نظراتها:

- لا تخافي، أنا بجوارك.

ثم حركت ذراعها وأشارت وهي تقول بصوت مهزوز:

- إنها تطوف هناك وتحمل بيدها جثة شخص.

- مَن هو هذا الشخص هل تعرفينه؟

فنظرت له الفتاة وبدأت في النحيب ولفت ذراعيها حول رقبته وظلت تتمتم:

- يجب أن ترحل من هنا.

ربت على كتفها ومرَّر يده على رأسها وهو يقول بصوت هادئ:

- أنتِ من يجب أن يرحل من هنا، لن أتركك في هذه العمارة المسمومة حتى تقتلي نفسك، ستذهبين إلى المستشفى وهم يعتنون بك حتى تستردين عافيتك على الأقل، وبعدها لن تعودي هنا مرة أخرى سنجد لك مكانًا آخر.

وقام بالاتصال بسيارة الإسعاف وطلب منهم أن يأتوا على الفور، قام بغلق الهاتف وما زالت (سلمى) تمسك به وهي ترتجف فشعر بزغللة في عينه وكلما أغمضهما ثم نظر يجد أمامه زوجته لتتبدل بابتسامتها إلى وجه «الشيخة زُهرة» الضبابي ظل هكذا دقائق حتى شعر به (عمار) فقام بإسناد الفتاة على ذراعيه ووضعها على الفراش ثم سأل الضابط:

- هل تريد مساعدة يا «باشا»؟

حرك رأسه نفيًا ثم أومأ «بنعم» ورفع يديه واتكأ على كتف الحارس حتى وقف لتهدأ زغللة عينيه، ليرى بوضوح أن هناك شيئًا أسود يطوف حول جسد الفتاة، ثم يستقر أعلى رأسها ليتحول إلى كتلة ضبابية سوداء ويدوركالإعصار ويقوم بالنزول في فمها شيئًا فشيئًا وهي تصرخ وينتفض جسدها، فأسرع خُطاه نحوها ليحاول مساعدتها فظلّ يلوِّح بيده فوقها ظنًّا منه بأنه شيءٌ ماديٌّ يستطيع الإمساك به، فلم يتمكن من السيطرة عليه وحينما يَئِس قام بوضع يده على فمها وظلّ يضغط عليه ليغلق الطريق أمام هذا الشيء وكلما كان يحاول حكم قبضته، كلما فقدت (سلمى) قدرتَها على المقاومة والتنفس وبدأ لونها يميل للأزرق، فهجم الحارس على الضابط ليبعده عن الفتاة قبل أن يقتلها بيده، وظلّ يجذبه من كتفيه حتى انتزعه من فوقها ووقع الحارس أرضًا وفوقه جسد الضابط الذي تهاوى أرضًا وهو يردد: «اتركني أنقذها» فردَّ عليه الرجل بلهجة صارخة:

- أنت تكتم أنفاسها وكادت أن تموت.

- لا لست أنا، إنه هذا الشيء الضبابي الأسو...

قالها (ديهوم) بينما عاد بنظره ليشير بإصبعه، ولكنه لم يجد شيئًا غير أن (سلمى) تلفظ أنفاسها بصعوبة وتسعل، وعلامات حمراء على وجهها مكان قبضة يده وآثار أصابعه حول فمها فقال بفزع:

- لا... لا لم أقصد إيذاءها، لقد كان هناك هذا الشيء الضبابي الذي يشبه وجه هذه الملعونة.

وهنا كانت تقف على الباب بفم ضاحك ثم اختفت وهنا تدارك الضابط سوء ما فعله للمرة الثالثة مع الفتاة فطلب من (عمار) أن يقوم بمساعدتها للنزول للأسفل حتى تأتي سيارة الإسعاف وتأخذها وهم سيقومون باللازم معها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٦)

«أين المفر؟ الجاني خلفك.. والموت أمامك»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد ما بدَر من (علياء) تجاه زوجِها أمام والديها وابنها تبدَّل حالها، أغلقت على نفسها عدة أيام متتالية لم تغادر فيهم غرفتها وطلبت من (علي) أن يتركها بمفردها ولا يحاول الاحتكاك ولا الحديث معها؛ وبعدها خرجت هادئة الحال، مستقرة المزاج، تلعب مع أبنائها وتتبادل النكات، ذهبت للتسوق وتصفيف شعرها وقامت بشراء هدية ثمينة لكل فردٍّ من عائلتها وكأنها تطلب منهم السماح لاختفائها الأيام الماضية ثم عادت المنزل وبدَّلت ملابسها بفستان أحمر قصير يشف أكثر ما يستر وأمرت بتحضير طاولة عشاء بها أغلب أطباق الطعام التي يفضلها زوجها ووزعت الشموع في كل الأرجاء، وحينما عاد للمنزل حالما دلف من الباب شم رائحة عطرها تعبق المكان فعلم أنها عادت لحالتها المزاجية الرومانسية فانفرجت أساريره ودخل كعادته قبلها وضمها لحضنه، وظل يستنشق رائحة شعرها التي تفوح منها عطر زهرةالأوركيد المختلط بدفء رائحة الفانيليا، ولولا تواجُد الصبيين لم يكن يخرجها من بين ذراعيه، حاول أن يبطئ من أنفاسه وتناولوا الطعام وبعدها تبادلوا الأحاديث وكانت (علياء) تتوسطهم وتلعلع ضحكتها في الأرجاء، يحاوطها الصبيان من الجانبين فَرِحَين بعودتها بينهما، بينما (علي) كان يفتتن بجمال طلتها وعفوية ضحكاتها ومزاحها معهم، انقضت ساعات عائلية دافئة واتجه كلٌ منهم إلى غرفته وأخيرًا هو وهي بمفردهما ملتصقا الجسد وهي تقف أمامه بجسدها الضئيل تتحسس بأصابعها شعيرات ذقنه وتتأمل وجهه فضمها وأغمض عينيه وانتابته قشعريرة الحب وهو يشعر بدفء الحياة الذي ينبعث من جسدها، ومدَّ يده على ظهرها وقام بسحب سوستة فستانها الأحمر اللامع، حينما لامست أصابعه الباردة جسدها الدافئ، أطلقت ضحكة صاخبة وابتعدت عنه قليلًا للخلف، فتطاير شعرها وهي تهوى مرتطمة بالفراش فانقض عليها ولم يتركها حتى دوت في أذنه تأوهاتها واختلط عرقهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تعجَّل المقدم (مصطفى) تقرير الطب الشرعي للفتاة المنتحرة لأن في غضون ساعات قليلة ستغلق التحقيقات نهائيًّا في حوادث «عمارة الشيخة زُهرة» ولن يترك لها أي ذيول معلقة، وبالفعل أتى له على الفور ولم يجد به شيئًا مختلفًا عن باقي حوادث الانتحار في العمارة التي تتمثل كل تقاريرها الطبية في زيادة سُرعة ضربات القلب مما تسبب في انقباض الأوعية الدموية وارتفاع ضغط الدم وزيادة إفراز الجلوكوز، كل هذا بسبب ارتفاع شديد في معدل هرمون الأدرينالين في الجسم والمحصِّلة النهائية أن كلَّ ذلك يحدث بسبب الخوف الشديد.

ما زال (ديهوم) في شقة (سلمى) لم يبرح مكانه وتلقى توًّا مكالمة هاتفية مع المقدِّم (مصطفى) حيث أكَّد عليه أن يرحل من العمارة غدًا صباحًا، وأكَّد عليه ألا يتدخل في عمل فريق الشرطة وهم يخرجون السكان والأفضل أن يرحل الآن. بعد أن أنهى المكالمة عاد إلى الشقة التي يقيم بها بخُطى ثقيلة، وحينما دخل جلس على الأريكة ليهدِّئ أنفاسه حتى يتمكن من حزم أمتعته ويرحل ولكنه تفاجأ

بعارض جديد يتمكن منه، ركز معه دقائق ليجده مستمرًّا بهذه الرعشة التي تملكت أطراف أصابع يديه ارتعدت معها أوصاله وارتجف قلبه، انتابته حالة لم يستطع تفسيرها قال بصعوبة انتفض جسده وهو يردد: «ماذا يحدث معي»، شعر حينها بأن سمًا يجري داخل جسده وأوشك على الوصول إلى عقله، فهمَّ واقفًا واتجه إلى المطبخ وقام بفتح الصنبور وملأ الكنكة ماءً ووضع ملعقتين كبارًا من البن وقليلًا من السكر وقام بتحضير كوب قهوة كبير ليشربه مع سيجارة حتى يستعيد سيطرته على نفسه ويرحل؛ وبالفعل عاد إلى نفس الأريكة ومعه الكوب ممتلئ على آخره، وجلس وأنهاه مع سيجارتين ثم مدد أصابعه المرتجفة وأخذ نفسًا عميقًا وشعر أن هناك شيئًا يتسرب داخله فتأمل ما حوله وصافحته نسمة هواء باردة فأغمض عينيه ومرت لحظات حتى سمع صوتها الحنون الممزوج بدفءٍ ينادي عليه من بعيد: «ياسر..ياسر تعال هنا لا تبتعد أكثر من هذا» تجاهل نداء أمه ورأى نفسه طفل السابعة وهو يركض خلف كُرته وتلعلع ضحكته في الأفق بينما يلتقطها منه أبوه ثم يقترب منه ويحنو إليه ويمسح على رأسه ويقول بصوت هادئ:

- أنت مميز، لا تدع أحدًا مهما كان أن يخبرك بغير ذلك.

فتعاود الأم النداء وهي تركض باتجاهه، فينظر إلى أبيه وهو يبتسم ويكشف عن بضع أسنان مكسورة وأخرى تنمو بداياتها من جديد ويقول لوالده:

- إنها أمي تبحث عني يجب أن أعود إليها.

- اعتنِ بها وبنفسك جيدًا ولا تدع أحدًا يمسها بسوءٍ.

وهنا اقتربت منه والدته وبدا على وجهها الذعر:

- مع مَن كنت تتحدث؟!

- ليس مع أحدٍ، فقط تذكرت أبي حينما كان يلعب معي هنا قبل وفاته.

فاقتربت منه أمه وضمته إلى حضنها وتنهدت ثم قالت بحزن:

- أنا أيضًا أفتقده كثيرًا، تذكره بالرحمة.

وبلمح البصر لم يجدها بجواره وتبدلت الأماكن ليجد أمامه سيارة أجرة تتسرب الدماء من كل أبوابها ونوافذها المغلقة، ويعود هو معها ابن الثلاثين من عمره وينزل من السيارة رجلٌ ينظر إليه بسخرية ويضحك ضحكة صفراء مستفزة ويسمع معها صوت زوجته وهي تتأوه وتصرخ فينتفض (ديهوم) واقفًا من نومته على الأريكة ليفتح عينيه ويجد كل شيء حوله كما هو في نفس المكان وأمامه نفس الشخص ويجد زوجته بجسدٍ عارٍ تمامًا وببطن تحمل جنينًا وتجلس أرضًا وتحاول أن تستر عورتها بيديها، بينما الدماء تتدفق من بينِ فخذيها بغزارة فيهرع ناحية الرجل فيسبقه الآخر ويخرج مسدسًا ويطلق عليه عدة رصاصات تستقر بقلبه؛ فينفض جسده ويسقط أرضًا وبرؤية ضبابية يرى قِطةً تقترب منه وبعدها واحدة أخرى، يرى العديد والعديد يقتربون منه لا يدري هل هم كثر أم أن زغللة عينيه هي من تعددهم، حتى يبدأوا جميعًا بالنهش في جسده ويحاول أن يستغيث، ولكن صوته مكتوم أحباله الصوتية عاجزة تمامًا عن إخراج صوت، حتى لمح أباه يقترب من بعيد وتخشاه القطط

وتتراجع واحدة تلو الأخرى وينزل والده على ركبتيه ويمسك بجسد ابنه وينفضه وهو يردِّد بذعر: «يجب أن تستفيق لا تدعهم يؤذونها» ويشيح بنظره بعيدًا ويتبعه (ديهوم) بفتح عينيه بصعوبة ليرى المرأة العارية تتبدل بوجه أمه وهي تصرخ وتستنجد به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظلَّ الضابط (وليد) في حيرة منذ أن أخبره (سامر) عن رغبة (ديهوم) في مقابلته وكثرت الأسئلة برأسه، وظلَّ مترددًا بين فضوله في الذهاب لمقابلته بالعمارة الملعونة وحتى يطَّلع منه على آخر المستجدات حتى لو أنه ليس له بها علاقة، ولكن مجرد معرفة الحقيقة، فهي ستشفي عقله من تفسير ما رآه وحدثَ له في هذه العمارة وبين الحفاظ على كرامته التي شعر أن المقدم (مصطفى) ألقى بها أرضًا حينما وافق على طلبه بسهولة وكأنه هو سبب الفوضى التي حدثت، وغير هذا وذاك لا ينكر توجسه خيفة من كلام (الدرويش) والسيدة (نادية) فبعد أن أبعده القدر عن هذا المكان يعود هو إليه بكامل إرادته، ظلَّ مترددًا كثيرًا حتى وجد نفسه دون أن يقرِّر شيئًا يرتدي ملابسه ونزل وأدار محرك سيارته واتجه إلى «عمارة الشيخة زُهرة»، وقام بمهاتفة (ديهوم) ولكنه لم يجب، عاود الاتصال ونفس النتيجة فاتجه إلى (عمار) الحارس وقام بمناداته فخرج له وأخبره أن الضابط (ديهوم) عاد إلى الشقة، ومن حينها لم يخرج منها، فصعد (وليد) إلى الشقة ويكاد يغلق أذنيه وعينيه عن كل التفاصيل من حوله حتى لا يرى طيفها إلى أن وصل، ظل يضغط على زر الجرس ويطرق الباب بيده، ولكن دون استجابة فنزل مرة أخرى إلى الحارس وسأله إن كان هناك أمرٌ غريبٌ حدث مع الضابط قبل صعوده الشقة، فأخبره عما حدثَ مع (سلمى) فقام (وليد) بمكالمة الضابط (سامر) الذي أخبره هو الآخر أنه لم يتحدث إليه منذ ساعة على الأقل وكلٌ منهما شعر بالخطر على (ديهوم) وبينما يتحدثان قال الحارس بتلقائية وهو يخرج حلقة المفاتيح من جيب جلبابه:

- معي نسخة من مفتاح الشقة إن كنت تريدها!

أنهى المكالمة مع (سامر) الذي أخبره أنه آتٍ على الفور، ثم أخذ من (عمار) المفتاح وأسرع خطاه صاعدًا على الدَرج ووضع المفتاح وفتح الباب بحذر ليجد (ديهوم) منكبًا على وجهه أرضًا ويردِّد: «أمي.. أمي» شاهرًا ذراعه، كأنه يمد يدَ المساعدة لأحدٍ، فراحَ (وليد) يقلب به وهو ينادي باسمه حتى يستفيق، مرت الدقائق حتى فتح عينيه ثم نظر إليه بذعر مبالغ فيه لم يجد له تفسيرًا، ـ وإذ فجأة ينتفض (ديهوم) من نومته ويجلس متحسسًا بيده جسده الذي كانت القطط تنهشه من دقائق، فهمَّ واقفًا وهو يترنح يمينًا ويسارًا وكأن قدميه لم تعودا تقويان على حمله، ثم اندفع على كتفي (وليد) بيديه وبعزم قوته قام بإحكام قبضته ثم شدَّه لأعلى ولكمه على صدغه فهوى جسده للخلف وهو ما زال تحت تأثير المفاجأة، لم يستوعب حتى الآن ما يفعله معه زميله بينما (ديهوم) حينما فتح عينيه يرى أمامه رجلًا ينظر له بسخرية ويضحك عاليًا مستهزئًا به وهو ينظر إلى زوجته العارية التي يحيطها الدماء، فهمَّ واقفًا وبدأ بضربه وهو يقول: «لماذا فعلت بها هي وابني هذا» وتبعها بألفاظ بذيئة، ثم اتجه إلى (وليد) مرة أخرى ودمى وجهه بلكمة عنيفة تفجرت معها دماء غزيرة من أنفه وقام بلوي أحد ذراعيه والتف جسده معها ليبدأ (ديهوم) بتسديد ضربات متتالية في جانبه أعلى الخصر مسددًا إياها بقوة مفرطة وهنا صاح به (وليد) بغضب يتخلله ألم عارم:

- ما بك يا (ديهوم) هل جننت؟

ومن بعدها حاول أن يفلت من قبضته، بينما الآخر يحكم قبضته، ظلا هكذا لحظات حتى نجح (وليد) في الفرار منه ووقف مواجهًا له، وظلَّ يصيح بوجهه وهو واقفٌ في وضع استعداد لصد أي هجمة أخرى منه وهنا أمسك (ديهوم) رأسه وظلَّ يئن من الألم الذي تملكه فجأة وأخذ يفرك مقدمة رأسه بأصابعه حتى توقف وهو ينظر تجاه هذا الرجل الذي هُيِّأ له مرة أخرى أنه مغتصب وقاتل زوجته ليجده يتحول إلى «الشيخة زُهرة» بعباءتها السوداء ووجهها الضبابي الأسود وفمها الذي ظلَّ يتبدل من شكله الصارخ إلي الضاحك ومعها يفرك (ديهوم) عينيه حتى عادت الهيئة إلى ذاك الرجل فهجم عليه مرة أخرى وظل يسدد له الضربات في مناطق عشوائية، وحتى تلك اللحظة كان (وليد) يدافع عن نفسه دون المساس بزميله الذي يرى حالته المزرية إلى أن استجمع قوته وأخذ نفسًا عميقًا، ومع أول فرصة قام بتسديد لكمة عنيفة إلى (ديهوم) هزت وجنته وهوى معها أرضًا وسالت الدماء من بين أسنانه، فاقترب منه (وليد) لا إراديًّا ليطمئن عليه ليجده يتحرك ببطءٍ ثم هجم عليه (ديهوم) فجأة وطرحه أرضًا وشل حركته بجلوسه على بطنه عاقدًا جزءه السفلي بقدميه، وأمسك كلتا يديه بقبضة واحدة وبالأخرى ظلَّ يسدد له اللكمات على وجه بين فكيه ووجنته وعينيه حتى أصبحت ملامحه كلها دامية.

خرجت السيدة (نادية) لتلقي بالقمامة في السلة بجوار باب الشقة فسمعت صوتًا يئن من الألم، فتقدمت لتلقي نظرة فوجدت نورًا يخرج من الشقة التي بها الضابط وهو نفسه مصدر الصوت، وحينما اقتربت وجدت (ديهوم) ما زال يسدد اللكمات لوجه زميله الذي أوشك على الخلاص بين يديه وشبه فاقد الوعي، فظلت تصرخ وهرولت للأسفل لتنادي الحارس ليوقف هذه المهزلة، وحينما سمع الساكن (سعيد) صراخها هبط بسرعة واقترب من الضابطين مسافة ليست بعيدة، وحينها التفت إليه (ديهوم) بنظرة متفحصة وكأنه يتأكد من هويته ثم عاد لاعتدائه على (وليد)، رحل الرجل إلى شقته في صمتٍ، وبعده أتى الساكن (علاء) وزوجته وابنته بأجساد نحيلة مرتجفة ووجوه أموات شاحبة ولكنهم لم يقتربوا، توقفوا خارج الشقة من بعيد يراقبون في صمت ما يحدث بين الضابطين ثم عادوا أدراجهم حيث أتوا دون أن يشعر بهم.

وهنا دخل (عمار) ومعه (سامر) الذي وصل توًّا وأصابته الدهشة لما رآه، ولم يتوقف (ديهوم) عن ضرب (وليد)، بالرغم من صياح (سامر) له بأن يتركه وشأنه ولكنه لم يلتفت إليه حتى أفقده الوعي تمامًا وهنا هجم عليه الضابط والحارس وقاما بنزعه من فوقه بصعوبة ومع مقاومته التي لم تهدأ اضطر (سامر) أن يصفعه على وجهه مرارًا حتى فقد توازنه وسقط أرضًا، فتركه وتوجه إلى (وليد) وقام بحمله بمساعدة الحارس ونزل مهرولًا به إلى سيارته وتحسس جيوبه حتى أخرج منها المفتاح وأدار المحرك وضغط على دواسة البنزين وانطلق مسرعًا في اتجاه أقرب مستشفى.

وبعد أن اختفت السيارة عن مرمى البصر عاد (عمار) إلى العمارة كما أمره (سامر) حتى يصعد للاطمئنان على (ديهوم) ويحاول معرفة سبب ما فعله، ولكنه حينما دخل الشقة ظل يجوبها يمينًا ويسارًا ولم يجد أثرًا للضابط (ديهوم) الذي اختفى وكأنه تبخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٧)

«كلما ضاقت الدائرة عليك، لا تستسلم، ابقَ هادئًا وحافظ على قناع البراءة والملائكية ودع الشيطان الذي بداخلك يفعل اللازم»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن نزل الضابط (سامر) حاملًا زميله المصاب ليسرع به إلى المشفى وخلفه (عمار)، تبقى (ديهوم) بمفرده مُلقى على الأرض بعد أن لكمه زميله بقوة، وحينما بدأ استعادة إدراكه بما فعله وتذكر صورًا مما حدث في الساعة الفائتة وهو يفتح عينيه بصعوبة وكأن بصيرته الحقيقية قد عادت له توًّا، مدَّ يده ليتحسس الأرض ليهم بالنهوض، أتى شخص من خلفه سمع صوت خطواته الخافتة، وقبل أن يلتفت ليراه قام بضربه بأداة حادة على مؤخرة رأسه ضربة أفقدته الوعي.

عاد الحارس ليطمئن على الضابط ويساعده لاستعادة وعيه، ولكنه لم يجده فقام بالاتصال بالضابط (سامر) ليخبره، وبينما هو بالشقة كان (ديهوم) بالغرفة السفلية مع رجلين أحدهما يحمله على كتفه، وحينما صعد الحارس غادرا به وركبا سيارة سوداء كبيرة، وحينما سمع (سامر) ما قاله (عمار) أوقف السيارة بشكل مفاجئ كادت السيارات خلفه الاصطدام ببعضها وبه، ودوى صوت صفير المكابح في الشارع مما أثار الانتباه للبقية، فكلٌّ منهم أخذ حذره على آخر لحظة ومع أصوات السيارات المرتفعة استفاق (وليد) وهو يسأل زميله:

- ماذا حدث؟ وأين (ديهوم)؟

حاول (سامر) تمالك أعصابه مما حدث توًّا ومما سمعه من الحارس فقال بتوتر:

- لا أعلم ماذا حدث، ولكن ربما أصابته لعنة تلك العمارة فلذلك كان يضربك، وبعد أن تركته وأخذتك وغادرت عاد (عمار) ليساعده مثلما أمرته، اتصل الآن ليخبرني أنه لم يجد (ديهوم) مكانه ولا بباقي العمارة ولم يترك خلفه إلا آثار دمائه.

- ربما يكون غادر بعد أن رحلنا!

- كيف؟ ومن أين خرج؟ لقد أكد (عمار) أنه لم يبارح أمام المدخل بعد أن غادرنا ثم صعد له سريعًا.

ثم صمت لحظات وعاد بنبرة منفعلة:

- متى يكون غادر، لم يمر على رحيلنا دقائق، ألم ترَ حالته؟

- (ديهوم) في خطر، يجب أن نعود.

قالها (وليد) وهو يعتدل في جلسته ويمسح الدماء من على أنفه، بينما (سامر) يغير اتجاه إطارات السيارة ليعود، حينها هاتفته زوجته وهي تبكي وتستغيث به صراخًا، بأن ابنها يحتضر فتوقف (سامر) ثانيًا ظل يفكر دقائق ثم نظر إلى (وليد) وقال:

- يجب أن أذهب الآن سأبقى معك على الهاتف.. أخبِر المقدم كل ما حدث، واعثر على (ديهوم) مهما كلفك الأمر.

ثم نزل من السيارة وهو يلوح لسيارة أجرة، كان (وليد) يبدل مقعده بكرسي السائق فعاد له (سامر) وهو يلهث وقال:

- (ديهوم) كان معه ثلاثة من أجهزة التصنت والمراقبة تبقى معه واحدة من كليهما، كان سيضعها عند (سلمى) في الشقة إن حالفنا الحظ ولم يكن وضعهم بها، إذًا فهم ما زالوا بجيبه، اتجه على مقر المباحث وحدد المكان واستمع لما يحدث وأخبرني إلى أين اتجه.

ثم غادر سريعًا واستقل السيارة ورحل بينما أمسك (وليد) بهاتفه وقام بالاتصال بالمقدم (مصطفى) وأخبره بكل التفاصيل، وفي غضون دقائق كان قد وصل لمقر المباحث واتجه الاثنان إلى فريق المتابعة ليحددا مكان (ديهوم)، فسألهما الرئيس هل هناك إشارة لتغيير مكان أحد أجهزة التتبع الثلاثة، فأجابه أحدهما:

- بالفعل هناك واحد تحرك من نصف ساعة تقريبًا اتجه على الطريق السريع، ومنذ قليل كان هناك أصوات رجال تتحدث بأنه معهم ولم يفصحوا عن تفاصيل أخرى ثم صمتوا والآن دخلت بوابة حي مدينتي وها هي استقرت بمكان ما بداخله.

طلب منه (وليد) أن يحدد المكان بالتفصيل ويأتي ببياناته ومن المالك، وبعد دقائق من الانتظار والبحث أتى بالمعلومات كان أولها بأن مالك الفيلا هي السيدة (علياء) والتي تكون زوجة رجل الأعمال (علي الطويل).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل (سامر) وزوجته ومعهما طفلهما في حالة حرجة يكاد توقف عن التنفس وتحول لونه إلى الأزرق الداكن واستقبله الأطباء من البوابة وهو على مشارف الاحتضار، وتوجهوا بجسده المُلقَى على السرير المتحرك مباشرة إلى غرفة العمليات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استعاد (ديهوم) وعيَهُ وهو في السيارة، وأدرك أنه معصب العينين، وأنه بسيارة وأنه تحت سيطرة شخص ما ولكنه لم يقاوم ولم ينطق لسانه بكلمة، بينما يحدِّث نفسه أنه وصل لمبتغاه، وسوف تنحل العقدة قريبًا وما كان يبعث الاطمئنان في نفسه أنه متأكدٌ أن زملاءه يعرفون تحركاته ويسمعون ما يحدث، وقبل أن يصلوا لبوابة الحي السكني قام أحد الرجال بنزع الرباط الموجود على عينيه حتى لا يثير الشبهات وحذره أن لا يقوم بأي حركة ليثير انتباه الأمن له، وحينما وصلوا للبوابة رحب بهم الحراس وكأنهم يعرفونهم جيدًا وأفسحوا لهم الطريق بكل تقدير وترحاب، وقفت السيارة ونزل الضابط مع الرجلين واتجهوا لإحدى الفيلات، لمح على مدخلها اسم (علي الطويل). وبالرغم من ذلك لم يبدِ أي اندهاش وكأنه لم يتفاجأ، دخل وسمع صوت لعب أطفال بالطابق العلوي، وهو كان يتوسط الرجلين ثم اتجهوا به لغرفة المكتب المقابلة للباب، وهنا كان يتوقع حينما فتح الباب أن يجده أمامه، ولكنه وجدها هي تمسك حقيبة وتضع بها رزمة من الأوراق ثم قالت بترحيب:

- أهلًا بالضابط (ديهوم)، هذه أول مرة نرى بعضنا، ولكني أسمع عنك منذ فترة...

- السيدة علياء؟

- ومن غيري سيكون في فيلا (علي الطويل) ومع أولاده؟!

قالتها، وضحكت وأشارت للرجلين للخروج من الغرفة ثم جلست في الكرسي المقابل له. وبعد أن وضعت قدمًا على الأخرى، قالت بابتسامة هادئة وثقة بالنفس:

- طيارتي على وشك الإقلاع، إذًا فليس أمامي متسع من الوقت، أعرف جيدًا أنك تفعل ما بوسعك منذ أيام لتصل لأي خيط يربط (علي) بالأحداث، ولكنك لن تجد مع أنه ذو علاقة وطيدة بما يحدث هناك.

أخرجت من حقيبتها علبة سجائر وأعطت للضابط واحدة بينما هو أمسك بالقداحة ومال على السيدة وأشعلها لها ثم أشعل سيجارته، وهي تخبره أن رجالها ذهبوا لإحضاره هو وسامر ووليد، ولكن الضابطين رحلا قبل لحظات من الإمساك بهما لحدوث شجار وإصابة أحدهما ثم نظرت له بخبث وابتسامة ثم أكملت:

- دعنا نتكلم عن المهم، حقيقة لا أعلم طبيعة ما يفعله زوجي بالعمارة حتى لا أكذب عليك، ولكن هو من يقوم به وله أهمية كبيرة جدًّا جدًّا لديه، هذا ما أنا واثقة منه.

ثم تناولت ورقة من على المكتب وقربتها من وجه (ديهوم) وقالت:

- هل تعرف مَن هذا؟

- نعم الساكن سعيد.

- اسمه الحقيقي (سامي) أو (Sam) كما يطلقون عليه بلندن هو الصديق الصدوق لـ (علي) منذ الطفولة، لم أكن أعلم بوجوده في العمارة إلا أمس حينما أتى لي رجالي بصور جميع السكان.

- كيف قاموا بأخذ تلك الصور لهم؟

علت ضحكت السيدة وهي تقول:

- هل تشك فيما أقوله لك؟ ومع ذلك سأخبرك، أمس ذهب رجلٌ من رجالي على هيئة عامل غاز ليأخذ قراءة العدادات وتسلل من خلف (عمار) البواب وأثناء ذلك قام بالتصوير.

- وماذا عن (سامي) أو (سعيد)؟

- لا يجتمع هو و(علي) على شيء إلا وكان خلفه مصيبةٌ لا يعلمها غيرهما.. هذا منذ أن كانا أطفالًا سمعت تلك الجملة مرارًا من لسان والدته.

انفرجت أسارير (ديهوم) لما يسمعه بالرغم من فقدان حلقات كثيرة، ولكن لا بأس بما يعرفه الآن ويستدعي سيجارة أخرى فطلب من السيدة، فناولته العلبة فأخذ منها واحدة وبينما ينفث دخانها سألها:

- لماذا تخبريني بكل ذلك؟

- أكيد ليس لأنني أهتم بشخصك، ولكني أريد القضاء على (علي).. أريد له نهاية بلا رجعة.

قالتها ثم قامت لتضع بعض أغراضها الشخصية بالحقيبة، مكملة للحديث:

- (علي) شخص مضطرب منذ زواجنا وهو يتلاعب بعقلي وأعصابي، أتدري! واحدة من ألاعيبه النفسية معي كان يأتي ويخبرني بأشياء ثم أسأله عنها فيما بعد ينكر ويصفني بالمجنونة، وكان يأخذ نصف الحديث دائمًا الذي يشهده أولادي أو عائلتي ثم يكمله بيننا.

وحكت له الموقف الذي حدث منه منذ أيام، وحينما قال لها إنه يريد شراء سيارة لها، وقالت له إنها ليست بحاجة لها وكان هذا أمام الأولاد وحينما دلفا غرفتهما أقنعها بسيارة على ذوقها وقامت باختيار اللون، وحينها هاتف أحد معارفه واتفق معه على شرائها، وفي اليوم التالي أنكر ما حدث بينهما وأتى بأولادها وأشهدهم على كلامها أمامهم، ويقنعهم دومًا بأن والدتهم مجنونة وهو لا يعلم أني منذ إعلان خبر علاقته مع تلك الفنانة وهي تشك بكل حرف ينطق به، وكلما جلست معه بمفردها تقوم بضبط هاتفها ليسجل حوارهما، وكل مرة كان يردد الأكاذيب عن لسانها لدرجة أن والدتها أخذتها لطبيب نفسي، وتمادت معه وأثبتت على نفسها المرض إلى أن تمسك دليلًا حيًّا على شخصيته القذرة التي لا أحد يعلم عنها شيئًا ويرون فقط الجانب العظيم والكامل، فاعل الخير الذي يريد هو أن يريهم إياه، تساقطت الدموع من عينيها وهي تحكي فقام (ديهوم) وناولها منديلًا ثم سألها:

- وما الذي جعلك تنبشين حول تلك العمارة؟

- لاهتمامه المبالغ فيه بها، فأدركت مؤخرًا أنها شيء مهم جدًّا بالنسبة له، في البداية كنت أشك أن سبب اهتمامه بها هي الفتاة (سلمى)، فلم أجد غيرها أمامي لأنه بالرغم من أنه عُرض عليه مبالغ خيالية لشراء العمارة من رجال أعمال كُثر، فكان يرفض وينكر ذلك بأن الجميع يخاف منها ولكن ذلك كذب، وكلما جلس بالبيت يتابع بالهاتف كل هفوة تحدث داخلها وكل فترة يرسل أحد رجاله ليتفقد المكان حتى تأكدت أمس أنه كان يرسله للاطمئنان على (Sam) أو (سعيد) .

فسألها ديهوم مستفسرًا:

- ولكنه دائمًا يقول إنه يريد إغلاق العمارة ورحيل السكان.

- هذه طبيعته يتحدث بعكس ما يرد فعله.

- دعينا نعود لسعيد، ماذا عنيت بـ «الاطمئنان عليه»؟

- (Sam) مريض سرطان الدم منذ صغره فكان يرسل مع رجاله طبيبًا على أنه عامل فني ومعهم الأدوية التي يواظب عليها.

هنا قال (ديهوم) بصوت عالٍ: «إذًا فيجب عمل اللازم مع الساكن سعيد أو Sam، ولكن دون المساس به»، كان يقصد هنا أن يسمعه رجال الشرطة الذين تحركوا بالفعل وعلى رأسهم (وليد) متجهين للعمارة، ولكنهم وقفوا بالقرب منها حتى يعطي لهم (ديهوم) الإشارة الخضراء هم حتى الآن لم يتوصلوا لحقيقة شيء بعينه سوى أنه صديق رجل الأعمال، وكلما حاولت السيدة إنهاء الحوار لترحل يعرقلها الضابط بأسئلته فقال لها محاولًا إظهار بعض التعاطف معها:

- ولكن السيد (علي) قام بأذيتك كثيرًا على ما يبدو، وأنتِ لا تستحقين ذلك.. فأنت أم أولاده.

كانت على وشك أن تغادر الغرفة، فعادت وجلست مرة أخرى أمامه وقالت وهي تبكي:

- كان كلما شعر بأن أعصابي هدأت قليلًا وأنا بأوروبا بعيدًا عنه، يطلب مني الرجوع بمفردي وترك الأولاد مع والدته لأنه يفتقدني كثيرًا، وكل مرة أنجرف خلف كلامه وأعود، فتعمد خلال وجوده بالمنزل أن يصمت صمتًا رهيبًا كأنني أعيش مع صنم، يومًا بعد الآخر إلى أن أفقد أعصابي وأعود إلى والدي وأنا منهارة، لا أعلم لماذا يفعل معي ذلك، فهو من طلبَ مجيئي، واليوم الذي يأتي أبى وأمي فيه المنزل يعود هو بالهدايا ويستقبلني أمامهما بالابتسامة والأحضان وأول جملة يقولها «أخيرًا عدتِ لحالتك الطبيعية يا حبيبتي»، وينظر لأبي وأمي ويخبرهما أن يبقيا معنا لأن ذلك يشعرني بالسعادة وأني أغلى ما يملك بالحياة.

وهنا قامت مرة أخرى وأمسكت بحقيبتها وهي تقول: «أقسم لك بأنني لست مجنونة، هو رجل مريض وستجد خلفه كوارث»، وقبل أن تغادر الغرفة طلب منها (ديهوم) طلبًا أخيرًا وشكرها على ما أخبرته به، وقبل أن تسمع طلبه رفضته لأن ليس لديها الوقت الكافي وستتجه إلى زوجها بمكتبه حتى يروه الأولاد لآخر مرة، لأنها ستأخذهم وتختفي بعيدًا، لن يعلم عنها شيئًا حتى تسمع خبر إدانته حينها ستعود، وهنا قال مهللًا:

- هذا هو طلبي.

دس يده بجيب بنطاله وأخرج حبة سوداء صغيرة جدًّا وطلب منها أن تضعها بمكتب رجل الأعمال، فليس هناك أحدٌ يزوره إلا ومر بالبوابة الإلكترونية ويتم فحصه جيدًا، ولكنها ليست كالجميع وقبل أن يكمل إقناعها بالقيام بذلك قاطعته وهي مبتهجة وتأخذ الجهاز منه:

- سأفعل أي شيء سيسرع بنهايته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٨)

«لن يستطيع أحد ردع قاتل محترف، إلا ذلك الغبي ذو الخيال الواسع سيطرحه أرضًا وبجدارة»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ذهبت (علياء) وأبناؤها لتودع زوجها في مكتبه، وبادلته القُبلات وأمسكت بالصورة العائلية التي يضعها على مكتبه وهي تحتضنه وتخبره كم هي جميلة ابتسامته، وأنها تحبه كثيرًا وستفتقده إلى أن تراه مجددًا، وقامت بوضع الحبة السوداء خلف الإطار الذي به الصورة ثم رحلت متجهة إلى المطار وغادرت على متن أول رحلة.

في هذه الأثناء، بعد ترك (ديهوم) الفيلا قام بالاتصال برئيسه، وأخبره أنه سيذهب إلى رجل الأعمال ويقدم نفسه طعمًا له حتى يعرف الحقيقة، وبالرغم من رأى المقدم المغاير له، ولكنه لم يستطع كبح جماح الضابط الذي لن يهدأ حتى يصل للحقيقة بأية ثمن، تواصل مع (وليد) وأكد معه أن لا يبادر بأي حركة تثير الاهتمام بالعمارة ويترقب من بعيد لأن (سعيد) أو (سامي) هو الخيط الوحيد الذي يملكونه، فهو لا يعرف ماذا سيصدر من (علي الطويل)، وإن كان ما قالته زوجته صحيحًا فهو بالفعل مختل ولا يستبعد أن يكون هو السفاح المجهول، وسأله عن (سامر) فأخبره أن كل شيء بخير، وأن يركز فيما هو مقبل عليه وأن يتوخى الحذر.

بعد أن رأى الضابط السيدة (علياء) تغادر المبنى، صعد على الفور طالبًا رؤية السيد (علي الطويل) على وجه السرعة لأمر غاية في الأهمية، تفاجأ (علي الطويل) في البداية من زيارة (ديهوم)، ولكنه ليس شخصًا يدع مخيلتَه للتوقعات ويحب أن يسمع بنفسه، فأمر بإدخاله ومنذ وصول (ديهوم) ورجل الأعمال يتفحص كل حركة، ونفس، وهمسة منه ليقرأ لغة جسده ماذا تحمل، فهو ماهرٌ جدًّا في تحليلها أكثر مما يعتقد (ديهوم)، الذي حاول أن يبدو غامضًا، ولكن لم تجدِ نفعًا هذه المرة، فقد فهم (علي) أنه يحمل معلومة مهمة تخصه فبادر بالكلام، وقال بلطف:

- حالتك تبدو سيئة جدًّا، أتريد أن أطلب لك الطبيب؟

- هذا كرم منك، ولكني جئت لسبب آخر.

قالها (ديهوم) وهو ينظر مباشرة بعين رجل الأعمال:

- أعلم جيدًا، بأن العيون الباردة يتوارى خلفها أكثر البشر خبثًا.

وهنا لم يجد أمامه غير الصدام محاولًا استنتاج أي خيط من رد فعل (علي) فقال:

- (سعيد)؟!

ثم صمت لحظات وقال:

- أو .(Sam)

وهنا زاغت الأعين في وجه ثابت لا ينم عن أي ردة فعل، فأجابه:

- لا أفهم ما تعنيه!

- (سامي).. لا أنا أعرف أنك تفهم جيدًا ما أقصده.

حينها تذكَّر (علي الطويل) رد فعل زوجته أمس كانت لطيفة معه بشكل مبالغ فيه على غير العادة، كما أنها رحلت مبكرًا عن الفترة التي كان من المفترض أن تمكثها، ولا أحد غيرها هنا في مصر يعرف شكل صديقه، وهنا بدأت قدمه في الاهتزاز، فقال بجرأة لم يتوقعها (ديهوم):

- (علياء) تحدثت معك؟

فابتسم الضابط ابتسامة عريضة تجعدت معها كل ملامح وجهه، وقال:

- هل تعلم معنى اسم (ديهوم)؟

فأجابه بكل هدوء وثبات انفعالي:

- لا.. ولكن أحب أن أعرف.

- ولا أنا! إنما اليوم عرفت، (ديهوم) تعني الرجل المحظوظ.

رفع رجل الأعمال سماعة الهاتف وطلب إحضار فنجان قهوة مخصوص للضابط (ديهوم)، وجلس الاثنان في صمت يتبادلان النظرات حتى أتى العامل بالقهوة ووضعها أمام (ديهوم) الذي لم يهدأ عن شربها فاحتساها دفعة واحدة وهي ساخنة، ثم قال:

- كل مرة كنت أشرب فيها أنا و(وليد) شايًا، أو قهوة، أو ماء هنا أو بالعمارة كانت تصاحبها الهلاوس والتخيلات، بينما (سامر) لا أتذكر أنه شَربَ أي شيء بالعمارة ولهذا لم تصبه التخيلات.

- لا تدع خيالك الواسع يعطي الأمر أكثر مما يستحق، (علياء) امرأة مجنونة، وإن كنت تريد أن تعرف عنها المزيد اذهب وتحدث مع والديها حينها ستتأكد، أن كل ما أخبرتَك به ليس له علاقة بالواقع.

- انتظر لحظة لقد تذكرت شيئًا.. أليس(Sam) هذا نفس اسم النبتة التي يهتم بها (سعيد).. أقصد (Sam) .

ثم صمت وأخذ يفرك بمقدمة رأسه ويأخذ نفسًا عميقًا، وهو يقول:

- لقد بدأ مفعول هذا الشيء يسري بجسدي، أشعر به وبتأثيره على أطراف أصابعي، أظن أنك ستتخلص مني بشكل أو بآخر، إذًا دعنا نكشف أوراقنا، أعتقد بأنه ليس لدي الكثير من الوقت.

صمت لحظة شعر معها بوخزة تطرأ على رأسه، وأكمل بصعوبة:

- دائمًا الجاني حينما يُكتشف يعترف بانتصاراته من تلقاء نفسه، لربما كانت تلك الفرصة الأخيرة ليتباهى بما أنجزه.

قام رجل الأعمال من مكانه واقترب من ظهر (ديهوم) ومال لأذنه وهمس:

- قرابة النصف ساعة على الأكثر، بعدها ستقوم وتخلص نفسك بنفسك، لا تقلق لن تشعر بشيء حينها ستكون مغيب العقل تمامًا.

حينما سمع المقدم (مصطفى) ما قاله (علي الطويل) أرسل سريعًا للقوات العليا التي بيدها إصدار أمر طارئ، حتى يتمكن من اتخاذ اللازم تجاه من يحمل الجنسية البريطانية والتي يتمتع بها (علي الطويل) وعاد لاستكمال الحوار، ليجد (ديهوم) يسأل:

- إذًا ما استنتجته صحيح، أنتما من تفعلان ذلك بالسكان تضعان لهم مادة تسبب الهلاوس، ولكن «شبح الشيخة زُهرة» كيف فعلتها؟

ضحك رجل الأعمال ساخرًا، وهو يقول بنبرة تأكيد:

- من الحماقة الاستهانة بما تراه أمام عينيك، ومن الغباء أن تصدِّقه كليًّا.. لا دخل لي بها ولا أنا ولا غيري له سُلطان عليها هي من تقرر متى ولمن تظهر ولا أعلم عنها غير ما أخبرتك به، لولا هذه الغبية لما كنت ستعرف أن لي علاقة بشيء، وكلها ساعات معدودة والتحقيق سيُغلَق ومعه هذه العمارة الملعونة بأسرارها وأشباحها.

أخبره (ديهوم) بأنه اكتشف أن (سعيد) له علاقة بما يحدث قبل أن تخبره زوجته بذلك، فأصر (علي) أنه يكذب، ولكن الضابط أصرَّ أنه سيخبره كيف عرف، ولكن بعد أن يصل للحقيقة كاملة، كما أنه يعرف بما يضعه له في القهوة وما تأثيره بالنهاية عليه، وطمأنه بأن كل ما سيعرفه سوف يدفن معه، وبدأ بعدها بربط كل الخيوط ببعضها ليسمع الباقي من رجل الأعمال، فقال وهو يحاول الوقوف على قدمين مهزوزتين:

- (سعيد) لا يفعل شيئًا بيومه غير الاعتناء بتلك النبتة، التي أطلق عليها اسمه، وهناك مواسير شكلها غريب لأول مرة أرى مثلها وهناك السكان، إذًا حلقة الوصل بينك وبينهم هو (سعيد) والمواسير العجيبة ماذا يضع بها؟ هل تضع بها نوعًا معين من المخدرات أم عقارًا؛ لا أنها مادة لها علاقة بالنبتة تسبب الهلوسة، نعم! هي الهلوسة، الماء الذي يشربونه مخلوط بمادة تسبب الهلوسة ولذلك (نادية) لم تُصَب مثل البقية، لأنها تأخذ أدوية ضد الهلوسة والاكتئاب وغيره ولكن عائلة (علاء)، لماذا لم يصابوا ويرون الأموات ولا «شبح الشيخة زُهرة»؟

وهنا صفَّق (علي الطويل) وقال بانبهار:

- أعترف أنني أخطأت الحكم عليك من البداية، ولكن صدِّقني هذا الشبح أو الكيان الأسود لا دخل لي به.

تكلم الضابط بجدية:

- دَعْنَا نلعب، أظن أنك تحب التحدي كثيرًا سأسالك عن أمرٍ تجاوبني عليه وبعدها تسألني أنت.

فأجاب باستهزاء:

- ليس لديك شيء لأقامر عليه.

- وشريكك (سعيد) والأدلة التي تدينه كيف ستتخلص منها حتى لا تتكشف.

- إذًا أنا من سيبدأ مع أنني متأكدٌ ليس هناك أي أدلة تدين أحدًا منا.

- أنا ضيفك وسأموت في غضون دقائق كما قلت، هل كثير عليَّ أمنية أخيرة؟

زوى رجل الأعمال شفته السفلى وكأنه طفلٌ أُخذَت منه لعبته، وقال أبدأ:

- حسنًا! فلتبدأ سريعًا ليس لديك متسع من الوقت.

فسأله عن سر هذه المادة، فأخبره الآخر بكل فخر وثقة وهو يتحدث، بأنها مستخلص من زهرة عثر عليها في أراضي أستراليا و(سامي) صديق عمره كان معه في هذه الرحلة، فاستوقفه شكلها وقام بالبحث عنها ولم يجد لها أثرًا في علم النباتات، وحينما قام بعدة أبحاث على بذورها وجد أنها تسبِّب نوعًا من الهلوسة ولا تترك أثرًا في الدماء ولا بالجسد حتى بعد الوفاة وهذه النتيجة المذهلة بعد التنقيح والتعديل، وحينما تدخُل نظام الجسد ويتشبع منها تعمل على الجزء الخاص بالخوف ومحفزاته فتسبب الهذيان وتجعل الشخص يرى كل مخاوفه أمام عينه حتى يكاد يلمسها بيده وبعد أن يفشل من القضاء عليها يقوم بالتخلص من حياته؛ هذا بخلاف الرعشة والاضطراب العام بالجسد ليقتنع الجميع أن الشخص أصيب بالجنون بالضبط مثلما كان يحدث لك حينما تشربها في القهوة عند السيدة (نادية) و (سلمى) و (سعيد) وتمامًا مثل اليوم الذي تناولت أنت وزميلك (وليد) جرعة مكثفة منها بمكتبي ثم عدتما إلى العمارة وما حدث معكما في الغرفة السفلية، بينما (سامر) كان أقل جرأة منكما وخشي أن يتناول أي مشروب بالعمارة ظنًا منه أن روح «الشيخة زُهرة» ستلاحقه، بدا على وجه (ديهوم) الذهول وهو يقول:

- لذلك لم تظهر أي مادة غريبة عند تشريح الجثث.

- هذه الجولة لسؤالي.. هل استمتعت وأنت تعتدي على (سلمى)؟

قالها باستفزاز وسخرية وهو يضحك بدمٍ باردٍ، فجز (ديهوم) على أسنانه وقال:

- نعم! كثيرًا بل وقعت في غرامها أيضًا.

- كلما كانت التفاحة لذيذة كان قلبها أشدَّ سمًا!

لم يعد الضابط يقوى على مقاومة تأثير المادة الفعالة على جسده، وكاد أن يتهاوى أرضًا وظلَّ يقاوم بإصرار حتى آخر لحظة وهو يسأله ويلفظ بصعوبة:

- لماذا قمت بهذه الأبحاث على سكان تلك العمارة بالذات؟

كلما كان يرى (علي) انهيار الضابط أمامه كلما شعر بانتصار ونشوة، وقبل أن يقع (ديهوم) تحت تأثير المادة الفعالة تمامًا أخبره بفخر أنه بصدد اختراع طبي عالمي سيغير مجرى أحداث العالم، فكانت العمارة بمثابة حقل تجارب، ولكن ليست على حيوانات بل بشر ليرى بعينيه وليسجل (سامي) تطورات إنجازه وأبحاثه أمام عينيه على السكان، وهي بالفعل كانت حقل خصب للتجربة، والسيدة (نادية) لم تتأثر لأنها كانت تأخذ الأدوية المضادة للمادة الفعالة لمجرد أنها تريحها وبتوصية من

الطبيب، ولكنها لم تكن على دراية بشيء، عائلة (علاء) كانوا تجربة فريدة لمعرفة مدى تأثير الخوف على المخالطين لمن يقومون بالانتحار فلم نضع لهم المادة المستخلصة من النبتة، وشبكة المواسير المذهلة التي قام بتأسيسها رجلٌ أجنبي وبرع في تنفيذها بكل حرفية لنضع ونمنع عن من نريد، مكنتنا من ذلك، فمثلًا (سلمى) كانت عنيده.. كنا نضخ لها المادة ثم نمنعها لأننا لم نقصدها هي، بل كنا نريد رضيعها لنعرف تأثير المادة عليه وبهذا يكون الاكتشاف متكاملًا، لكنها كانت السبب في كل ما نحن عليه حينما ظلت تهلوس بأن هناك ما يراقبها في مدخل العمارة ومنها تم الكشف عن «الكاميرا»، (سامي) هو من اقترح أن تجري الأبحاث بالعمارة فهي مكان ممتاز للتمويه، يكفي شبح «الشيخة زُهرة» الذي يتجول بها لينفي أي شائعات بأن هناك تدخلًا بشريًّا فيما يحدث لهم، وهنا عاد (علي) إلى كرسيه وأكمل:

- أعرف أن في الفترة الأخيرة كان هناك تسارع في الأحداث وحالات انتحار كثيرة، ولكن ذلك خطأ (سامي) فقد تمكن السرطان من نهش جسده وسيموت في غضون أيام معدودة ولم يعد لديه ولا وقت ولا الصبر حتى ينهي الإنجاز الذي سيستمر مئات السنين حتى يكتشف سره، سيموت به المئات وسيقضي على بلدان كاملة، سيحدث طفرة بأحداث العالم المقبلة.

فنظر له (ديهوم) ونطق بلسان ثقيل وهو يزوغ بعينيه يمينًا ويسارًا:

- (سعيد) حينما أتى وأنا أضرب (وليد) كان بكامل ثباته كأني أول مرة أراه، بدا كشخص طبيعي حينها عرفت بأنه الفرد الخائن.

الرؤية أصبحت مشوشة والأموات اجتمعوا كلهم نصب عينيه بعدها سقط الضابط مغشيًا عليه....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١٩)

«عدوك يهاب ذكاءك، فلا تدعه يتلاعب بعقلك»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في هذه الأثناء رأى رجال الشرطة سيارة أجرة تقف أمام العمارة، وبعدها بلحظات نزل (سعيد) حاملًا حقيبة خلف ظهره وقبل أن يدلف من باب السيارة حاوطه (وليد) وأفراد الشرطة وكبَّلوه وتم القبض عليه، وبعدها وصل فريق فني متخصص في أعمال السباكة ومعهم طبيب ليتأكد من وجود المادة المخلوطة بالماء وصعدوا حتى يتحققوا من الحديث الذي دار بين (ديهوم) و (علي الطويل) وحينما دخلوا الحجرة أسفل السلم ومنها إلى أول شقة، والثانية، وبعدها شقة (سعيد) ثم تبين لهم الأمر بالتأكيد، أخبروا المقدم (مصطفى) أن مواسير تدفُّق المياه قد صُمِّمت بشكل غاية في الاحترافية وكأنها تُشبه نظام الدورة الدموية والأنابيب الموجودة بشقة (سعيد) تمتزج مع الماء وكأنه الدم الذي يغذي هذه الدورة الكاملة وتصب بالنهاية في صنبور كل شقة على حدة بالتحكم من خلاله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد يومين...

يجلس الضابط (وليد) وبجواره (سامر) يتحدثان بصوت خافض في غرفة بالمشفى الذي به (ديهوم)، فالتزموا الصمت حينما شعروا بحركة جسده، ففتح عينيه وظلَّ دقائق دون حركة ولا كلام حتى تدارك أين هو، ومن يجلس بجواره فنظر لهما وارتسمت على وجهه ابتسامة حانية فوقف (وليد) مبتهجًا وقال بنبرة فرح:

- عَودٌ أحمد.

ثم خرج من الغرفة ليأتي بالممرضة، وحينها اقترب منه (سامر) وأخبره بأن ابنه أصبح في حالة مستقرة نسبيًا بعد إجراء العملية واجتاز أربع وعشرين ساعة حرجة، فانفرجت أسارير (ديهوم)، بينما قال له الآخر وقد ترقرقت عيناه بالدموع:

- شكرًا على كل شيء، وشكرًا لأنك عدت سالمًا.

أجابه(ديهوم) بابتسامته ولمعة عينيه، دخلت الممرضة ومعها الطبيب وخلفهما (وليد) . وبعد مرور قرابة الساعة والقيام ببعض الفحوص الطبية استطاع الضابط أن يستعيد القليل من قوته واعتدل في نومته متكئًا الظهر على وسادة صغيرة، وبدأ حديثه مع زملائه، فقال بنبرة مرهقة يتخللها فضولٌ لم يستطع إلجامه:

- ماذا حدثَ مع (علي الطويل)؟

فأخبره (سامر):

- بعد ما كشفت ما لديك له تركك واتجه إلى المطار، لم يكن يعرف أن جنسيته البريطانية لم تعد كالسابق ولن تمنعنا من اتخاذ الإجراءات اللازمة معه، كما أن المقدم (مصطفى) حرص على إتمام كل شيء بسرية تامة حتى يتمكن من القبض عليه، وبعدها ذهب مع رجال الشرطة بكل هدوء ليحاكم كقاتل محترف مع سبق الإصرار والترصد.

فصحك (وليد) قائلًا وهو ينظر لـ (ديهوم):

- لا! وأنت الأصدق، كان يخشى على ابنه البكر أن يصيبه مكروه.

فضحك ثلاثتهم ثم نظر (ديهوم) إلى (وليد) وسأله:

- ماذا قال عنها؟

- لم يذكر شيئًا غير أنه لا يعلم غير ما أخبره به جِده، وهو ما نقله لنا ونحن بمكتبه، لا يدري لماذا كانت تظهر وماذا تريد وآخر شيء حذَّرنا منه ألا يتجرأ أحدٌ على دخول شقتها.

وتدخل (سامر) بالحديث قائلًا:

- ولكن (سامي) عند التحقيق معه قال عنها، إن ذلك من تأثير مستخلص النبتة فهو يحفز عامل الخوف ليجعل الأشخاص يرون مخاوفهم أمام أعينهم، مثلا أنت قد رأيت زوجتك وقال (وليد) إنه رأى كلبه وهو يموت وهكذا حتى يفقد الفرد قدرته على تحمُّل ذلك ولا يستطع القضاء عليه فيتخلص من نفسه، هذا غير أنه من البداية ينمي فكرة الانتحار في الأذهان.

قال (وليد):

- كان من السهل أن يخرج من كل التهم التي ستؤول إليه، ويحول إلى مصحة نفسية لعدم صحته العقلية وأظنه كذلك بالفعل، ولكن (سامي) اعترف بكل شيء كما أنه اعترف على نفسه بأن زوجته كانت أولى ضحايا نبتتة السامة، فقد فعل ذلك ليسجل اسمها معه في التاريخ على أنها أول حالة تسممت بها.

قال ديهوم وهو يضحك:

- عالِم بدرجة مجذوب.

هَم الضابطان للرحيل ليتركاه يأخذ قسطًا من الراحة حتى يخرج من المشفى سريعًا، ولكن (ديهوم) أصر على بقائهما معه قليلًا وحينها دخل المقدم (مصطفى) عليهم الغرفة وقام بالاطمئنان على (ديهوم) وسرَّه بخبر ترقيته، وأخبرهم أنه جد جديد على حادث (علي الطويل)، فعلى ما يبدو أنه كان على اتصال مع أحد بالخارج يساعده وينقل له آخر ما توصل لمستخلص هذه النبتة، وهم الآن يرسلون إلينا طلبًا بمعرفة آخر ما توصل له (سامي) و(علي الطويل) وإرسال النبتة إليهم حتى توضع في مكانها الصحيح، بأنها نبتة سامة ونادرة، فسأله (ديهوم):

- ولماذا لم يذهبوا بأنفسهم ويأخذون العديد منها من المكان الذي عثر عليها فيه (علي) و (سامي)؟

- لم يخبروهم بمكانها الحقيقي ولهذا يطالبون بتسليمه هو شخصيًّا لهم وألا يحق لنا محاكمته بسبب جنسيته، غير أنهم يريدون النبتة بعد التنقيح الذي فعله بها (سامي).

- إذًا فهو كان محقًا حينما قال إنه بصدد اكتشاف عالمي.

- بالضبط، لذلك وضعناها تحت حراسة مشدَّدة في وزارة الزراعة، مُحَاطة بالزجاج من أربعة جوانب فقط جميعها متصل بأجهزة إنذار.

وبعدها ألقى المقدِّم (مصطفى) عليهم السلام وغادر، فنظر (وليد) إلى (ديهوم) مطولًا في صمت وسأله:

- ماذا الذي تريد أن تعرفه؟

فابتسم (وليد) في خبث وقال:

- لماذا طلبت مني المجيء للعمارة في ذلك الوقت؟

- هل ستصدقني، إن قلت لك لم يكن لدي شيء غير الشعور بالذنب حينما رحلت عن التحقيق، هذا غير أن ثرثرتك كانت تبقيني مستيقظًا للأحداث.

ثم سألهم عن أخبار سكان العمارة المشؤومة فأخبروه أن (نادية) لم تكن تريد الخروج قبل أن ترى «الشيخة زُهرة» لولا عودة ابنها من الخارج وهو من أقنعها بذلك، أما (سلمى) استردت عافيتها وذهبت لعائلتها وابنها أما عائلة (علاء) الآن بالمشفى لن يخرجوا إلا بعد التعافي تمامًا والجميع سيتم تعويضه بشقة أخرى في المدن الجديدة، كما أنهم بعد فحص كل شبر في العمارة وتتبُّع المواسير التي خبأها (علي) في الجدران وتحت طبقة البلاط وجدوا عظام جثة مدفونة في الغرفة السفلى من السلم، ومن المحتمل أنها تعود لابن «الشيخة زُهرة».

بعد مرور عدة أيام...

استعاد (ديهوم) عافيته وخرج من المستشفى قاصدًا وزارة الزراعة ليلقي نظرة على النبتة التي كانت السبب في كل ما حدث، فأدار محرك سيارته وانطلق وبينما هو يقف متأملًا في شكل أوراقها الغريبة، لمح على الزجاج انعكاسًا لخيال أسود فنظر خلفه لم يجد شيئًا فقال لنفسه «تهيؤات»، فغادر المكان على الفور وركب سيارته، وبينما هو في طريقه للعودة إلى المنزل قاده عقله لنفس المكان والشارع الذي تقع به العمارة، فوقف على بُعد عدة أمتار منها يحملق بها فظهرت له من شُرفة شقتها، ولأول مرة يرى عينين في ذلك الوجه الضبابي الأسود ينظران له مباشرة فتمتم «من البداية وأنا أشعر أن وجودك حقيقة.. والنبتة السامة ما هي إلا وسيلة ساعدتك للانتقام من سكان العمارة»، ثم أدار محرك سيارته للأمام ويذكر أنه لم يمر بهذا الشارع مرة أخرى.

أعلنت الصحف موت (سامي) بعد تدهور شديد في حالته الصحية، وبعدها بيوم تم سرقة النبتة (SAM) من وزارة الزراعة ولم يستدل على مكانها حتى الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أعمال الكاتبة

- ملاك الموت
- جريمة في شارع التسعين
- الليلة الأخيرة
- رحلة السيدة العجوز

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

(١)
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)
(٦)
(٧)
(٨)
(٩)
(١٠)
(١١)
(١٢)
(١٣)
(١٤)
(١٥)
(١٦)
(١٧)
(١٨)
(١٩)
أعمال الكاتبة